سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٨)

شرح

كشف الشبهات

للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لِلَّهِ وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على رسُولِ اللَّهِ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، أمَّا بعد:

فيطيبُ «**لمؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية**» أن تضع بين يدي القارئ الكريم شرح سماحته لكتاب «**كشف الشبهات**» ضمن سلسلة إصداراتها لشروح وتعليقات سماحته على كتب أهل العلم.

وكتاب «**كشف الشبهات**» هو للإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ الَّذي بذل حياته للدِّفاع عن التَّوحيد، ونشر تعاليمه ومحاسنه في أرض الجزيرة العربية، فأرسل الرُّسائل وألَّف الكتب، ومنها هذا الكتاب «كشف الشُّبهات» الَّذي أورد فيه بعض الشُّبه الَّتي يثيرها الَّذين خلطوا التَّوحيد بالشِّرك، ودحضها رَحِمَهُ اللَّهُ بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وقد قام الشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ بشرح الكتاب والتَّعليق عليه بأسلوب واضح ليسهل على القارئ فهمه، وليميِّز دين المرسلين ودعوتهم عن دين المشركين وعبادتهم.

وهذا الشرح هو تفريغ من تسجيل صوتي لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لدروس كان يُلقيها على طلابه، وقد بدأ الاعتناء به فضيلة الشَّيخ علي بن صالح بن عبد الهادي المريِّ وفَّقه اللَّهُ، ثُمَّ أكملت المؤسسة إخراجه

ليعم نفعه وخيره الأمة.

وقد اتَّبعنا في إخراجه المنهج العلمي في تفريغات الدروس المسجلة وتحويلها إلى كتاب مقروء، مع الالتزام بلائحة المؤسسة فقد أوردنا الآيات برسم المصحف والأحاديث والآثار مضبوطة بالشكل مع تخريج موجز في الحاشية، وتوثيق النقول الورادة في المتن والشرح مع الاعتناء بالتنسيق وحسن التخريج.

وفي الختام: نسأل اللَّه تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي شيخنا عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعف له المثوبة والأجر، ويعلي به منزلته في الجنَّة، إنَّه سميع قريب مُجيب.

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

ترجمة موجزة للشارح رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو سماحة الشَّيخ الإمام المجتهد عبد العزيز بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن محمَّد بن عبد اللَّه بن باز.

وكنيته: أبو عبد اللَّه أكبر أولاده.

لقبه المشهور به: ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

مولده ونشأته:

ولد في مدينة الرياض في ١٢/ ١٢/ ١٣٣٠هـ. ونشأ بها في حجر والدته، فقد توفي والده سنة (١٣٣٣هـ) وعمره دون الثَّالثة، فأحسنت أمه تربيته وتنشأته -رحمها اللَّه-، وقد توفيت سنة (١٣٥٦هـ).

حياته العلميَّة والعملية:

حياته العلمية:

تلقى تعليمه على يد كوكبة من علماء الدَّعوة السَّلفيَّة من أبرزهم: الشَّيخ/ محمَّد بن إبراهيم بن عبداللَّطيف آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مفتي الدِّيار السُّعوديَّة، فقد أخذ عنه جميع علوم الشريعة.

أمَّا حياته العملية: فقد تولى عدة أعمال منها:

- (من: ١٣٥٧هـ إلى: ١٣٧١هـ) قاضياً في منطقة الخرج بالدلم.
- (من: ١٣٧١هـ إلى: ١٣٨١هـ) مدرساً في المعهد العلمي،

ثم كلية الشريعة بالرياض.

- (من: ١٣٨١هـ إلى: ١٣٩٥هـ) نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم رئيساً لها.

- (من: ١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ إلى: ١٤/ ٠١/ ١٤١٤هـ) رئيساً لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء، والدَّعوة والإرشاد -برتبة وزير-.

- (من: ٢٠/ ٠١/ ١٤١٤هـ حتى وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ) مفتياً عاماً للمملكة، ورئيساً لهيئة كبار العلماء، ورئيساً لإدارة البحوث العلميَّة والإفتاء.

مؤلفاته:

له العديد من المؤلفات أكثرها قد جمع ضمن كتابه المشهور «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» والبالغ ثلاثون مجلدًا، وحوِّل برنامجه الإذاعي «نور على الدَّرب» إلى كتاب «فتاوى نور على الدَّرب» وقد صدر في (٣٥) مجلدًا، وله غيرها من التَّصانيف والشروح والتعليقات والفتاوى.

كما أصدرت مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيريَّة بعض تعليقات وشروح سماحته على بعض كتب أهل العلم منها كُتب الإمام المجدد الشيخ/ محمَّد بن عبد الوهّاب رَحِمَهُ اللَّهُ ككتاب «كشف الشُّبهات، والأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، وفضل الإسلام، وكتاب التوحيد» و«كتاب الفتوى الحمويَّة، والعقيدة الواسطية» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب «وظائف رمضان» للشَّيخ عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب «التَّبصير في معالم الدِّين» لابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرها.

وفاته:

توفي بالطَّائف قبيل فجر يوم الخميس ٢٧ من شهر محرم الحرام سنة ١٤٢٠هـ ، وَصُلِّي عليه بعد صلاة الجمعة بالمسجد الحرام، ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

(١) ينظر ترجمته في: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحته (١/ ٩ ـ ١٢) من جمع وترتيب د. محمَّد بن سعد الشويعر، و«الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» للشيخ عبد الرحمٰن بن يوسف الرحمة (ص٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٣٧٧) وكتاب «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز» رواية الشَّيخ محمَّد الموسى، إعداد: د. محمَّد بن إبراهيم الحمد (٣٣) و«الإبريزية في التسعين البازية»، د. حمد بن إبراهيم الشتوي (١٨، ٢٠، ٢١، ٣٠، ١٨٩) و«ترجمة سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز» من إعداد واعتناء: الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم ابن قاسم (١٣، ٢٣، ٢٦، ١٣٨) وغيرها.

تعريف الشَّارح بكشف الشبهات

بِسْمِ اللَّهِ، والحمد للَّه، والصَّلاة والسَّلام على رسول اللَّه.

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه المُسمَّى «**كشف الشُّبهات**»:

عُبَّاد القبور لهم شبهات كثيرة يُوردونها على الدُّعاة إلى اللّهِ، يُلبِّسون بها على بعض النَّاس في دعائهم الأموات واستغاثتهم بهم، وبالملائكة والأنبياء والصَّالحين ونحو ذلك، يقولون: هؤلاء لهم جاهٌ عند اللَّه، ولهم شفاعة عند اللَّه، وهم مُقرَّبون عند اللَّه، وإنا نطلب منهم الشَّفاعة، نطلب منهم القُربى، نحن نعرف أنَّهم لا يتصرفون بأنفسهم، وأنَّهم لا يخلقون، ولا يرزقون، ولكن نريد شفاعتهم، نريد تقريبهم لنا إلى اللَّهِ زُلفى، نريد أن ينفعونا بشفاعتهم، يشبهون على النَّاس.

والمؤلف كتب هذه الرِّسالة «كشف الشُّبهات» لإيضاح الشُّبهات وإبطالها، كما أوضح الرَّسول ﷺ إبطالها وأوضح القرآن إبطالها، وبيان أن هذه الشُّبهات لا تلتبس على أهل العلم والإيمان.

[وفي عهد الشيخ محمَّد رحمة اللَّه عليه كانت عبادة غير اللَّه من الأولياء والصَّالحين وغيرهم قد انتشرت في كلِّ مكان في الدرعية بنجد وفي الجزيرة، وفي مصر، وفي الشام، وفي العراق وغيرها من ديار الإسلام، فقد كثُر الشِّرك في النَّاس بعد القرون الثلاثة

الفاضلة][1].

فمقصود المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه الرِّسالة إيضاح الشُّبهات الَّتي اعترض بها عُبَّاد القبور، ولبَّسوا بها على المسلمين.

(١) ما بين المعكوفتين [...] من أجوبة سماحته عقب الشرح المذكور.

[حقيقة التَّوحيد][1]

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«اعلم رحمك اللَّه أنَّ التَّوحيد: هو إفراد اللّه سبحانه بالعبادة، وهو دين الرُّسل الَّذي أرسلهم اللَّهُ به إلى عباده، فأوَّلُهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسله اللَّه إلى قومه لمَّا غلوا في الصَّالحين: وَدٍّ، وسُواع، ويغوثَ، ويعوقَ، ونَسْرٍ.

وآخر الرُّسل محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الَّذي كسَّر صور هؤلاء الصَّالحين، أرسله اللَّه إلى قوم يتعبدون، ويحجون، ويتصدقون، ويذكرون اللَّهَ كثيرًا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين اللَّه، يقولون: نريد منهم التَّقرب إلى اللَّهِ، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصَّالحين.

فبعث اللَّهُ إليهم محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجدِّد لهم دين أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويخبرهم أنَّ هذا التَّقرب والاعتقاد محض حقِّ اللَّهِ، لا يصلح منه شيء لغيره، لا لملك مُقرَّب ولا لنبيٍّ مرسل فضلًا عن غيرهما وإلَّا فهؤلاء المشركون يشهدون أنَّ اللَّه هو الخالق الرَّازق وحده لا شريك

(١) العناوين الَّتي بين المعكوفتين [...] في مستهل متن كل شرح هي من وضع المعتني عملًا باللائحة العلمية بالمؤسسة.

له وأنَّه لا يرزق إلَّا هو، ولا يحيي إلَّا هو، ولا يميت إلَّا هو، ولا يُدبر الأمر إلَّا هو، وأنَّ جميع السَّموات السَّبع ومن فيهن والأرضين السَّبع ومن فيها، كلّهم عبيده وتحت تصرّفه وقهره.

فإذا أردت الدَّليل على أنَّ هؤلاء المشركين الَّذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ يشهدون بذلك فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١] وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩] وغير ذلك من الآيات».

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول الشَّيخ محمَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم ـ أيُّها القارئ، أيُّها المسلم ـ أنَّ التَّوحيد: هو إفراد اللَّه بالعبادة، وهو دينُ اللَّه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥] وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥].

فالتَّوحيد: هو إفراد اللَّه بالعبادة، وهو دين الرُّسل الَّذي أرسلهم اللَّهُ به إلى عباده، من أوَّلهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى آخرهم محمَّد ﷺ كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد كان على دين التَّوحيد نوح، وقبله آدم عليه السلام وذريته، وهكذا الرُّسل بعده؛ كُلُّهم على هذا، على التَّوحيد فلمَّا حدث الشِّرك في قوم نوح وأشركوا بوَدٍّ وسواع ويغوث ويعوق ونسرٍ أرسلَ اللَّهُ إليهم نوحًا عليه الصَّلاة والسَّلام ينهاهم عن عبادة هذه الصُّور «الأصنام» وهم صوَّروهم ليتأسوا بهم، كانوا رجالًا صالحين، فلما هلكوا في قوم نوح، جاءهم الشَّيطان، وقال: هؤلاء صفتهم كذا وصفتهم كذا، وهم صالحون وأخيار، حتَّى صَوَّرُوا صورهم وجعلوها في مجالسهم حتَّى يتذكروا عبادتهم، ليقتدوا بهم، حتَّى يُصَيِّرهم بعد ذلك إلى الشِّرك، أو يُصَيِّر من بعدهم، فصوَّروا صورهم ونصبوها في مجالسهم، حتَّى طال عليهم الأمد فعبدوهم من دون اللَّه[(١)]، هم: عُبِدُوا في زمن نوح؛ ووجودهم كان قبل زمن نوح عليه السلام، وبقيت صورهم وذكراهم في النَّاس إلى عهد النَّبِيِّ ﷺ هو الَّذي أزالها مِنْ حول الكعبة.

فالنَّبِيُّ ﷺ لمَّا بعثه اللَّه، أنكر على المشركين عبادة الصَّالحين، وأخبرهم بما جرى لقوم نوح وأنزل اللَّه عليه في ذلك سورة نوح، وهو الَّذي كسَّر صور هؤلاء الصَّالحين، وَدًّا وسواعَ ويغوثَ ويعوقَ ونسرًا كانت موجودة في العرب، فأمر بتكسيرها لما فتح اللَّه عليه

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، برقم (٤٩٢٠) بلفظ: «**صَارَتْ الأَوْثَانُ الَّتِي كانت فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العرب ...**».

مكة عليه الصَّلاة والسَّلام[(١)].

وكان المشركون يتعبدون عند هذه الأصنام وأشباهها، يرجون بركتها، وشفاعتها عند اللَّه ونفعها، كما أخبرنا رَبُنا بقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] لا يعتقدون أنَّها تخلق وترزق كما يظن بعض المشركون الَّذين في زماننا، يظنون أنَّ أولئك كانوا يعتقدون أنَّها تخلق وترزق، لا، هم يعتقدون فيها أنَّها مخلوقة مربوبة لاتخلق ولا ترزق؛ ولكن يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨] ومع هذا كفّرهم اللَّه، وأرسل إليهم رسوله، وقاتلهم على هذا الشِّرك.

وهذا يُبيِّن للقارئ حقيقة الشِّرك، وأنَّه هو التَّشفع بالصَّالحين وطلبهم لهم للقربى إلى اللَّه، والذَّبح لهم، والنَّذر لهم، والسُّجود لهم، بقصد القربة والشَّفاعة.

فهم ما قالوا: إنَّها تخلق وترزق، واللَّه بيَّن هذا في كتابه العظيم حيث قال لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ [يُونس: ٣١] فهم معترفون كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزّخرُف: ٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [الزُّمَر: ٣٨] ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، برقم (٢٤٧٨) ومسلم، برقم (١٧٨١) بلفظ: «**دخل النَّبِيُّ مَكَّةَ وَحَوْلَهَا ثَلَاثُمَائة وسُتُّونَ نُصُبًا فَجَعَل يَطْعَنُها بِعُودٍ كَانَ بِيَدِهِ ...**».

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

والآيات كثيرة في هذا، كُلُّها تدلُّ على أنَّهم مُقرُّون بأنَّ اللَّهَ خالق الأرض، خالق السَّماء، خالق كُلّ شيءٍ، ولكنهم كفروا بطلبهم الشَّفاعة والقربة من الأنبياء والصَّالحين، والذَّبح لهم والنَّذر لهم ونحو ذلك، كفروا بهذا، وإلَّا فهم يعلمون أن جميع المخلوقات اللَّهُ خالقها، ورازقها ﷻ، هم مُقرُّون بهذا وليس عندهم فيه شك، ولكنهم توسطوا بهم في طلب الشَّفاعة والقربى، والمغفرة وفي غير هذا من مطلوبهم.

وقالوا: إنَّما تقربنا إليهم نرجو شفاعتهم وتقريبهم لنا، فبيَّن اللَّهُ بطلان هذا وأنَّ هذا شرك أكبر وكفر وضلالة، وأنَّ تعبدهم، وذبحهم لهم، ونذرهم لهم، ودعاءهم إيَّاهم، كلَّ هذا من الشِّرك الأكبر، ولو اعتقدوا أنَّهم مخلوقون لِلَّهِ مرزوقون من اللَّهِ، لكن ما دام صرفوا هذه العبادة لهم، واستغاثوا بهم ونذروا لهم، وذبحوا لهم، هذا هو الشِّرك.

فلعل هؤلاء المتأخرين إذا بُصِّرُوا يتبصَّرون، وإذا ذُكِّروا يتذكرَّون بما كان عليه أهل الشِّرك، وأنَّ هذا الَّذي هم عليه هو شرك المشركين الأوَّلين.

وهؤلاء المتأخرون زادوا على الأوَّلين أيضًا، المشركون عُبَّاد البدوي، والحسين، والجيلاني وغيرهم، هؤلاء شركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدَّة، نعوذ باللَّه، فهم أشدُّ شركًا من الأوَّلين وأعظم إثمًا وأقبح فعلًا.

وبعضهم يشرك في الرُّبوبيَّة، يعتقدون أنَّ مُعبوداتهم تشارك اللَّه في تصريف الكون، وهذا شرك آخر، شرك في الرُّبوبية نعوذ باللّهِ.

فالمقصود: أنَّ شرك المتأخرين أعظم من شرك الأوَّلين، وأقبح من جهتين: من جهة أنَّ شركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدَّة والأوَّلون بخلاف ذلك، ومن جهة أنَّ كثيرًا منهم شرّكوا آلهتهم حتَّى في تدبير الأمور، وفي خلق الخلق، وفي رزق العالم، وهذا أقبح من شرك الأوَّلين وأخطر وأشدُّ ضلالًا وبُعدًا عن الهُدى، نسأل اللَّه العافية.

وقد جاء في الحديث الصَّحيح: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ**»(١) يعني: يعمّ الشِّرك حتَّى تطبق البلاد على الشِّرك بعدما ينزع الإيمان من قلوب النَّاس «**فَإِنَّ اللَّهَ يُرسِلُ رِيحًا طَيّبَةً تَقْبِضُ أَرْوَاحَ المُؤْمِنِينَ**»(٢) فلا يبقى إلَّا الكفار وعليهم تقوم السَّاعة، نسأل اللَّه العافية.

■ **مسألة:**

الشِّرك الأصغر الأقرب والأظهر أنَّهُ أكبر من الكبائر، وتسميته شركًا دلَّ على ذلك، أمَّا هل يدخل في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] الأقرب أيضًا أنَّهُ يدخل فيها؛ لكن قد يغفر برجحان الحسنات، إذا رجح ميزان الحسنات؛ لأنَّهُ من جنس الكبائر لكن قد لا يغفر له إذا لم يتب منه، ولم يرجح ميزانه، قد يعذَّب عليه، مثلما يعذَّب على الكبائر إذا مات عليها، إلَّا أن يعفو اللَّه عن الكبائر.

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ، برقم (١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم بمعناه في حديث طويل عن النواس بن سمعان ﷺ، برقم (٢٩٣٧).

[المشركون الأوَّلون أقرُّوا بالرُّبوبيَّة وأشركوا في الإلوهيَّة في الرَّخاء دون الشِّدَّة]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإذا تحققتَ أنَّهم مُقرَّون بهذا، وأنَّه لم يدخلْهم في التَّوحيد الَّذي دعاهم إليه رسول اللَّهِ ﷺ، وعرفتَ أنَّ التَّوحيد الَّذي جحدوه هو توحيد العبادة، الَّذي يسميه المُشركون في زماننا «الاعتقاد» كما كانوا يدعون اللَّه سبحانه ليلًا ونهارًا.

ثُمَّ منهم مَن يَدعو الملائكة؛ لأجل صلاحهم وقربهم مِن اللَّهِ ليشفعوا لهم، أو يَدعو رجلًا صالحًا مثل اللَّات[1] أو نبيًّا مثل عيسى وعرفتَ أنَّ رسول اللَّه ﷺ قاتلهم على هذا الشِّرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لِلَّهِ وحده، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وكما قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرّعد: ١٤].

وتحقَّقتَ أنَّ الرَّسول ﷺ قاتلهم ليكون الدُّعاء كلّه لِلَّهِ، والنَّذر كلَّه لِلَّهِ، والذَّبح كلّه لِلَّهِ، والاستغاثة كلّها باللَّهِ، وجميع أنواع العبادات كلّها لِلَّهِ.

وعرفتَ أنَّ إقرارهم بتوحيد الرُّبوبيَّة لم يدخلْهم في الإسلام،

(١) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ اللَّات رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ» أخرجه البخاري، برقم (٤٨٥٩).

وأنَّ قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتَّقرب إلى اللَّهِ بذلك، هو الَّذي أحلَّ دماءهم وأموالهم؛ عرفتَ حينئذٍ التَّوحيد الَّذي دعتْ إليه الرُّسل، وأبى الإقرار به المشركون.

وهذا التَّوحيد: هو معنى قولك: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، فإنَّ الإله عندهم هو الَّذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان مَلَكًا، أو نَبِيًّا، أو وليًّا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جنيًّا، لم يريدوا أنَّ الإله هو الخالق الرَّازق المُدبِّر، فإنَّهم يَعلمون أنَّ ذلك لِلَّهِ وحده، كما قدَّمتُ لك.

وإنَّما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السَّيِّد، فأتاهم النَّبِيُّ ﷺ يدعوهم إلى كلمة التَّوحيد، وهي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكُفَّار الجُهَّال يعلمون أنَّ مراد النَّبِيّ ﷺ بهذه الكلمة هو: إفراد اللَّه تعالى بالتَّعلق به والكُفر بما يُعبد من دونه، والبراءة منه، فإنَّه لما قال لهم: «قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥][(١)].

فَإذا عرفتَ أنَّ جُهَّال الكُفَّار يعرفون ذلك، فالعجب ممَّن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهَّال الكفرة، بل يظن أنَّ ذلك هو التَّلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلَّا اللَّه، ولا يدبر الأمر إلَّا اللَّه، فلا خير في رجل يَدَّعي الإسلام وجُهَّال الكُفَّار أعلم منه بمعنى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه»».

---

(١) يشير الشَّيخ إلى ما أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما الترمذي، برقم (٣٢٣٢) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا تحققتَ مِمَّا تقدَّم ذكره من أنَّ المشركينَ يُقرُّون بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق المُدبِّر، وأنَّه يحيي الموتى، وينزل المطر وهو على كلِّ شيء قدير فيما يتصرف فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكنهم ينكرون توحيد الألوهية ـ وتخصيص اللَّه بالعبادة ـ ويرون أنَّه لا مانع من التَّعلق بالصَّالحين كاللَّات، وبالأنبياء كعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو بغيرهم من الأشجار والأحجار؛ لطلب البركة وطلب الشَّفاعة، كما فعلوا مع العُزَّى ومناة واللَّات، ومع عيسى وأمه، ومع الملائكة إلى غير ذلك.

هم يرون أنَّ التَّعلقَ بهؤلاء أو طلب الشَّفاعة منهم، والاستغاثة بهم والذَّبح لهم والنَّذر لهم لا بأس به، وأنَّ هذا لا يجوز منعهم منه؛ ولهذا أنكروا على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك وقالوا له، لما قال لهم: «قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: ٥] وقالوا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّافات: ٣٦-٣٧].

فهم لا يُنكرون عليه دعواه بأنَّ اللَّهَ ربَّهم وخالقهم ورازقهم ومنزل المطر ومجري الشَّمس والقمر، يعرفون هذا، ولكن أنكروا عليه لمَّا دعاهم إلى توحيد اللَّهِ والإخلاص لِلَّهِ، وترك النَّذر لغير اللّه، والذَّبح لغير اللَّهِ، ونحو ذلك مِمَّا كانوا يفعلونه، ويرون أن ذلك لا يضر، وأنَّ هذا من باب التّوجه بهم والتَّقرب بهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ما قصدنا أنَّهم يخلقون أو يرزقون أو يُدبِّرون، نعرفُ أنَّ هذا

لِلَّهِ، ولكن يُريدون أنَّهم يُقرِّبونهم إلى اللَّهِ، هذا الَّذي قاله المشركون الأوَّلون، وأنكره النَّبِيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام هو ما يقوله المتأخِّرون.

المتأخِّرون يقولون: في تعلُّقهم بالأموات من الأنبياء والصَّالحين: إنَّنا نُريد جاههم نريد أن يشفعوا لنا فنعبدهم؛ لينفعونا عند اللَّهِ، فهذا الَّذي قاله هؤلاء هو الَّذي قاله الأوَّلون، ولكن الأوَّلون أخف منهم شركًا، وأقلّ؛ لأنَّ الأوَّلين في حال الرَّخاء يشركون، وفي حال الشَّدائد يُخلصوا لِلَّهِ العبادة، أمَّا هؤلاء المتأخِّرون فشركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدَّة، فصار مع الصَّالحين أو غيرهم ـ نعوذ باللَّه ـ.

فالواجب أن يكون عندك ـ أيُّها العبدُ ـ تمييز لهذا الأمر، وأن دينَ المشركين غير دين المسلمين، فالرَّسول ﷺ أرسله اللَّهُ إليهم ليدعوهم إلى توحيد اللَّهِ وطاعته، وترك الشِّرك باللَّهِ سبحانه، يَدعُوهم إلى ترك المعاصي، فهم قابلوا هذه الدَّعوة بالصُّدود والمعاداة والخصومة، وقاتلوه على هذا يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب، كلّ هذا دفاعًا عن دينهم الباطل؛ لتعلُّقهم على غير اللَّهِ وشركهم باللَّهِ ﷻ، ولكن اللَّهَ أيَّد نبيَّه ونصره عليهم، حتَّى فتح عليه مكة عنوة ودخلوا ـ بعد ذلك ـ في دين اللَّهِ أفواجًا.

فجميع ما يتعلَّق بالدَّعوة يدلُّ على هذا المعنى، وأنَّ المُدعو إذا كان يتعلق بالأموات أو بالكواكب أو كذا فهذا الَّذي يُدعى ويُبيَّن له.

فصاروا أكثر شركًا وأشر شرًّا من الأوَّلين بسبب تساهلهم، وعنادهم، وعدم قبولهم النُّصح، نسأل اللَّه العافية.

فينبغي للمؤمن: أن ينتبه لهذا، وأن يعرف أنَّ الشِّرك: هو

صرف العبادة لغير اللَّهِ أو بعضها، سواءً كان الصارف يُقِرُّ بتوحيد الرُّبوبيَّة أو لا يقر، مهما كان حاله، فإنَّه كافر ما دام يَعبدُ غير اللَّهِ، ويستغيث بغير اللَّه، ويدعو غير اللَّه، نسأل اللَّه العافية.

[وجوب خوف المؤمن من الوقوع في الشِّرك]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إذا عَرفتَ ما ذكرتُ لك معرفة قلب، وعرفت الشِّرك باللَّهِ الَّذي قال اللَّهُ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء:٤٨، ١١٦] وعرفتَ دين اللَّهِ الَّذي أرسل به الرُّسل، من أوَّلهم إلى آخرهم الَّذي لا يقبل اللَّهُ من أحدٍ سواه، وعرفتَ ما أصبح غالب النَّاس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل اللَّهِ وبرحمتهِ، كما قال اللَّه تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨].

الثَّانية: الخوف العظيم، فإنَّك إذا عرفتَ أن الإنسان يَكفر بكلمةٍ يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها ويظن أنَّها تقربه إلى اللَّهِ تعالى، كما كان يفعل الكُفَّار خصوصًا إن ألهمك اللَّه تعالى ما قصَّ عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنَّهم أتوهُ قائلين: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعرَاف: ١٣٨] فحينئذٍ يعظم حرصك وخوفك، على ما يخلِّصك من هذا وأمثاله».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إذا عرفتَ ما ذكرتُ لَكَ معرفة قلب**» يعني: ما قلتُ لَكَ من حال المشركين الأوَّلين، وأنَّهم يعرفون أنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق المُدبِّر، المحيي المميت، وأنَّهم إنَّما عبدوا الأصنام والأوثان والأشجار والملائكة والأنبياء، بقولهم: إنَّهم يشفعون لهم ويقربونهم إلى اللَّهِ زلفى، وما عبدوهم على أنَّهم يخلقون أو يرزقون، يعرفون أنَّ اللَّهَ هو الخلَّاق الرَّزاق المحيي المميت المُدبِّر، ولكن عبدوا الملائكة والأنبياء والأصنام واللَّات والعُزَّى وأشباهها، يعتقدون أنَّها تشفع لهم عند اللَّهِ، وتقربهم إليه زلفى، ومع هذا قاتلهم النَّبِيّ ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم حتَّى يُخلصوا العبادة لِلَّهِ وحده.

وإذا عرفتَ الشِّرك باللَّهِ الَّذي قاتلهم النَّبِيّ ﷺ عليه، وأنَّه صرف للعبادة لغير اللَّه كالذَّبح والنَّذر والاستغاثة ونحو ذلك، كونه يستغيث بالشَّجر أو بالصَّنم أو بالملك أو بالأنبياء أو بالأموات أو بالنُّجوم هذا هو الشِّرك، إذا استغاث بها أو نذر لها أو ذبح لها أو دعاها أو سجد لها أو ما أشبه ذلك هذا أعظم الذُّنوب،كما قال اللَّهُ تعالى في هذا الشأن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعَام: ٨٨] وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

وإذا عرفتَ دين الإسلام الَّذي بعث اللَّهُ به الرُّسل، وأنزل به الكتب، وهو توحيد اللَّه والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه،

الَّذي قال فيه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عِمرَان: ١٩].

دين الإسلام ليس بالتقليد الأعمى، والدَّعوى بالإسلام وما أشبه ذلك من غير نظر ولا عقيدة، لا بل دين الإسلام عقيدة وعمل، قول وعمل، تعرف دين الإسلام أنّه توحيد اللَّه والإخلاص له، والإيمان به وبرسله والإيمان بكل ما أخبر اللَّهُ به ورسولُهُ من أمر الجنَّة والنَّار وغير ذلك مع تصديق الرَّسول ﷺ واتِّباعه مع طاعة الأوامر، وترك النواهي، هذا هو دينُ اللّهِ، الَّذي جهله الأكثرون مع أنَّهم يَدَّعون أنَّهم مسلمون وهم يَعبدون الأشجار والأحجار والأصنام والأولياء من جهلهم.

إذا عرفتَ ذلك عرفتَ أنَّ اللَّهَ قد أعطاك فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: الفرح بفضل اللَّهِ ورحمته، فضل اللَّه أن عرَّفك بالإسلام وهداك له، ومن رحمته أن جعلك من أهله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨] تفرح أنَّ اللَّهَ شرح صدركَ، وعَلَّمك، وفهَّمك دينه، وهداك له ورحمك، حتَّى صرت من أهله هذه نعمة عظيمة.

والفائدة الثَّانية: الخوف، تخاف أن يُصيبك ما أصاب النَّاس، تخاف أن تهلك، أو تزل، يقول اللَّهُ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [المُلك: ١٢] ويقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥] ولما ذكر أهل الجنة قال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البَيِّنَة: ٨] ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] تخاف اللَّه أن تزل قدمك، أن تقع في الشرك، أن ترتد عن دينك.

وعرفتَ أنَّ الإنسان قد يكفر بكلمة تصدر من لسانه، قد يقولها وهو جاهل، قد يقولها وهو يعتقد أنَّها تقربه إلى اللَّهِ زلفى، قد يَسبُّ اللَّهَ أو الرَّسولَ، أو يستهزئ بالدِّين أو يجحد ما أوجب اللَّهُ أو يجحد بعض ما حرَّم اللَّهُ فيكفر بذلك وهو لا يبالي ولا ينتبه.

هكذا المؤمن يفرح بفضل اللَّهِ يَحمد اللَّه أن جعله من أهل الإسلام، ويستقيم ويجاهد نفسه في اللَّهِ، ويخاف أن تزل قدمه أو يزيغ قلبه، ليس بآمن؛ بل يخاف ويحذر، يخاف أن يقع فيما وقع فيه الأكثرون من الشِّرك باللَّهِ.

هكذا المؤمن يكون خائفًا وَجلًا حذرًا لا يأمن مكر اللَّه، ومن الإيمان الخوف من اللَّه والخشية له، ورجاؤه وتعظيمه، والإخلاص له والثّبات على دينه، كلَّ هذا داخل في الإيمان، هؤلاء هم أهل الأمن والهداية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] هم الموفقون بسبب إيمانهم وصدقهم وإخلاصهم، وخوفهم من اللَّهِ وعنايتهم بدينهم، وحذرهم من أسباب الشِّرك.

قال ابن أبي مليكة[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ التابعي الجليل: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلَهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»[(٢)] كلهم يخاف: كلهم يحذر،

(١) هو الإمام الحُجَّة الحافظ أبو بكر، وأبو محمَّد عبد اللَّه بن أبي ملكية، قال البخاري: مات سنة سبع عشرة ومائة، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٨٨-٩٠).

(٢) ذكره البخاري معلقًا في «صحيحه» في كتاب الإيمان، بين رقمي (٤٧، ٤٨) ووصله في «كتاب التاريخ الكبير» (٢/ ١٣٧) كما وصله الخلال في كتاب «السنة» برقم (١٠٨٠).

قال بعضهم[١]: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم الخليل، يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] يخاف ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٦] يخاف أن يصيبه ما أصاب الكثير.

والنَّبِيُّ ﷺ كان يَضَّرع إلى ربِّه في سجوده ويسأله ﷻ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ**»[٢] ويسأل ربَّه دائمًا عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى وَجَهْلِى وَإِسْرَافِى فِى أَمْرِى، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى**»[٣] «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِى عَلَى دِينِكَ**»[٤] وهو نبيُّ اللَّهِ ورسوله، وهو أفضل الخلق عليه الصَّلاة والسَّلام، ويقول: «**أَمَا وَاللَّهِ إِنِّى لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»[٥] يحلف باللّه أنّه أخشى الناس للَّه، وأنه أخوف الناس من اللَّه، مع إيمانه العظيم وتقواه «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**».

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وقد يقولها وهو جاهل ولا يعذر بجهله**» لأنَّه بين المسلمين، وعنده الكتاب والسُّنَّة قريب، يعني: هذا فيه معنى التساهل؛ لأنَّه إنسان مُفَرِّطٌ يستطيع التَّعلم، ولم يبال.

---

(١) أخرجه عن إبراهيم التميمي الطبري في تفسيره (١٣/ ٦٨٧، ٦٨٨).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٤٨٣).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٦٣٩٩) ومسلم، برقم (٢٧١٩).

(٤) أخرجه الترمذي وحسنه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٢١٤٠) وابن ماجه، برقم (٣٨٣٤).

(٥) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٥٠٦٣) ومسلم، برقم (١٤٠١).

■ مسألة: العذر بالجهل:

مسألة عظيمة، والأصل فيها أنَّه لا يُعذر من كان بين المسلمين، من بلغه الكتاب والسُّنَّة لا يُعذر، اللَّه جلَّ وعلا، قال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] وقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] من بلغه القرآن والسُّنَّة فهو غير مَعذور، إنَّما أُتِيَ من تساهله، وعدم مبالاته بالتَّعلم.

وليست مسألة ـ العذر بالجهل مسألة ـ خلافية، إلَّا في الدَّقائق الَّتي قد تخفى مثل قصة الَّذي قال لأهله: «**اَحْرِقُونِي**»[(١)] [(٢)].

■ مسألة:

خوف الشِّرك: هو خوف السِّر، أن يخاف الأصنام ويخاف النجوم، والأشجار أو الأحجار، أو الجنِّ أو الإنس الغائبين من الأ**حياء أو** أصحاب القبور الأموات، تخاف أن يفعلوا بك ما يضرك؛ لاعتقادك أنَّهم يستطيعون ذلك بغير أسباب حسيَّة، بل بقدرتهم الخاصة، لأنَّهم يعلمون أمورك، ويعلمون الغيب، وأنَّهم ينفعوكَ ويضروكَ أو ما أشبه ذلك، فهذا هو الخوف الَّذي هو الشِّرك الأكبر[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، برقم (٣٤٧٨، ٦٤٨١، ٧٥٠٨) ومسلم، برقم (٢٧٥٧).

(٢) ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٩/ ٧٩، ٣٩٨، ٢٨/ ٢١٥-٢١٧) و«فتاوى نور على الدرب» لسماحته (١/ ٢٦٣).

(٣) أمَّا الخوف الَّذي له أسباب حسيَّة من الظلمة القادرين على إيقاع الظلم، أو الخوف الطبيعي من حر أو برد أو حيَّة أو عقرب، فيتخذ الأسباب الَّتي تقيه، فهذا ليس من خوف الشِّرك، ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٨/ ٢٨١، ٢٨٢).

أمَّا الخوف الَّذي يحملك على ترك واجب أو فعل محرَّم، يسمى معصية لا يسمى شركًا[١] إذا حمله خوفه من ولده أو خوفه من زوجته يكون معصية لا يكون شركًا، فكونك يفعل شيئًا ممَّا حرَّم الله خوفًا من أن تهرب زوجته أو يهرب ولدهفيشرب الخمر أو يترك الصَّلاة في جماعة مراعاةلزوجته أو صاحب العمل أو نحو ذلك، فهذه معصية.

(١) ينظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن حسن آل الشيخ (٢/ ٤٦٣).

[الصراع بين الرُّسُل وأعدائهم]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«واعلم أنَّه سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التَّوحيد إلَّا جعل له أعداء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وقد يكون لأعداء التَّوحيد عُلوم كثيرة، وكتب وحجج، كما قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

إذا عرفتَ ذلك وعرفتَ أنَّ الطَّريق إلى اللّه تعالى لا بُدَّ له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلَّم من دين اللَّهِ ما يصير لك سلاحًا تقاتل به هؤلاء الشَّياطين الَّذين قال إمامهم ومقدمهم لربِّك ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧] ولكن إذا أقبلت على اللَّهِ وأصغيت إلى حججه وبيّناته، فلا تخف ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: ٧٦].

والعاميُّ من الموحِّدين، يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصَّافات: ١٧٣] فجند اللَّه هم الغالبون بالحُجَّة واللِّسان، كما أنَّهم الغالبون بالسَّيف والسِّنان، وإنَّما الخوف على الموحِّد الَّذي يسلك الطَّريق وليس معه سلاح، وقد مَنَّ اللَّه تعالى علينا بكتابه الَّذي جعله اللَّهُ: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] **فلا يأتي صاحب باطل بحُجَّة إلَّا وفي القرآن ما ينقضها، ويبيِّن بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾** [الفرقان: ٣٣] **قال بعض المفسِّرين: هذه الآية عامة في كلِّ حُجّة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة»**(١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أنَّ اللَّه جَلَّ وعلا لم يبعث نبيًّا بهذا التَّوحيد إلَّا جعل له أعداء، مُنذ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمَّد ﷺ، ابتلاءً وامتحانًا، يبتلي الأخيار بالأشرار، يبتلي الرُّسل بالأعداء، ويبتلي الدُّعاة إلى اللَّهِ بأعدائهم، فلا بُدَّ من التأهب وأخذ العدة والسِّلاح لمجاهدة هؤلاء، كما قال اللَّهُ جلَّ وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] وقال جلَّ وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

فالرُّسلُ لهم أعداء، ولهؤلاء الأعداء شُبَهٌ وحُجج يُوردونها على الرُّسلِ وأتباعهم الدُّعاة والعلماء، ولهم كتب يرجعون إليها، ويشبهون بها، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣] يعني: العلم الباطل، فهي عُلوم لا

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (١/ ٥٩) و(٢٨/ ٣٨٢).

تنفع، ولكن يحصل بها التَّشبيه على الرُّسلِ، ودعاة الهُدى، ولكن متى كان صاحب الحقِّ على بيِّنة وبصيرة لم يبالِ بشُبههم؛ بل يهزمها ويبيِّن بطلانها؛ لأنَّه على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يُوسُف: ١٠٨] كما هدمها الرُّسل وبيَّنوا بطلانها.

هكذا أتباع الرُّسل يبيِّنون بطلان حجج أهل الباطل وشبهاتهم ويكشفون زيفها ويوضِّحون الحقَّ للنَّاس بما أعطاهم اللَّهُ من البصيرة والأدلَّة الشَّرعيَّة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفُرقان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصَّافات: ١٧١-١٧٣] وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحَجّ: ٤٠] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٧].

فصاحب البصيرة المتعلِّم الَّذي عرف التَّوحيد، وعرف الشِّرك على بصيرة لا تَغُرُّهُ شُبهُ أولئك المجرمين ولا تلتبس عليه، بل يهدمها ويوضِّح بطلانها ويكشفها للنَّاس، كما سمعت في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفُرقان: ٣٣] فلا يأتي صاحب باطل بحُجَّةٍ إلَّا وفي القرآن ما ينقضها ويبيِّن بطلانها.

وهم يُشبِّهون على النَّاس بمثل قوله جَلَّ وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] وأيُّ حُجَّة في هذا؟! نعم: ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] فهل قال لك أحد: ادعهم من دون اللَّهِ؟!

بيَّن لك أن تكون منهم، تعلَّم واستقم على طاعة اللَّهِ حتَّى تكون منهم، مع كونهم أولياء اللَّه لا يجوز دعاؤهم والاستغاثة بهم، كما أنَّ الرُّسلَ وهم أفضل المؤمنين، هم أولياء اللَّه، ومع هذا لا تجوز عبادتهم من دون اللَّه، هكذا بقيَّة المؤمنين هم أولياء اللَّه وعباد اللَّه الصَّالحون، ولكن ليس لك أن تعبدهم، كما أنَّه ليس لك أن تعبد الرُّسل، بل اعبد اللَّه وحده، كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البَيِّنَة: ٥].

فالأمر واضح إذا أخلص العبد لِلَّهِ وصدق في طلب العلم وتفقه في الدِّين وتعلَّم الأدلَّة الشَّرعيَّة، وأخذ ذلك من علماء أهل السُّنَّة المعروف بالثَّبات والعلم والبصيره، وَعُني بالقرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، فإنَّ اللَّهَ يُعينه على كشف حجج أهل الباطل وإزالة شُبُههم وإظهار الحقّ، وإنَّما يخشى عليه إذا سلك الطَّريق وليس معه سلاح، فيخشى على طالب العلم إذا كان مجرَّدًا من سلاح العلم، دعوى علم لكن بدون بصيرة، ليس علمًا حقيقيًا عنده بعض العلوم لكنه ما اعتنى بالمقام هذا غالب الخلق.

والسِّلاح هو العلم قال اللَّهُ قال رسوله، وما عليه أهل الحقِّ، وما عليه أهل الباطل، يُميِّز بين التَّوحيد والشِّرك، بين الإسلام وضده، بما أعطاه اللَّه من العلم، فإذا كان عنده علم وبصيرة، وأخلص لِلَّه وصدق مع اللَّه، فاللَّهُ يُعينه عليهم ويُخَلِّصه من شرهم، ولا يخشى عليه إلَّا من قلَّة العلم، أو فساد النِّيَّة وعدم الإخلاص، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه، وفَّق اللَّهُ الجميع.

■ مسألة: في تكفير العامي:

كل من له قدرة على إقامة الدَّليل، إقامة الحُجَّة عالمًا كان أو عاميًّا، يكون كل على حسب الحال،فمن قام بالكفر لا يكفر إلَّا بالدَّليل، والعاميُّ لا علم له، إلَّا في مثل من جحد تحريم الزِّنا يكفر عند العامة والخاصة، ولا يحتاج أدلَّة، أو قال: إنَّ الشِّرك جائز، يجوز للنَّاس أن يعبدوا غير اللَّهِ الأصنام والنجوم، لا يشك أحد في هذا، ولا يحتاج أدلَّة، وإذا قال الصَّلاة غير واجبة من شاء صلَّى ومن شاء ترك، من قال هذا كفر، التوقف في أشياء تخفى على العامة.

والعاميُّ إذا ثبت عنده ما يوجب الكفر يكفر، كثبوت كفر أبي جهل وأبي طالب، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، فقد قام الدَّليل على أنَّهم ماتوا على الكفر، وقاتلهم النَّبِيّ ﷺ يوم بدر كفارًا.

■ مسألة: في منع شغل العامَّة بالعقيدة:

العقيدة هي أهم الأمور، النَّبِيُّ ﷺ جلس في تقرير العقيدة ثلاثة عشر سنة وهو في مكة، كلّها في العقيدة، فالعقيدة هي أصل الدِّين، ومن يقول: لا تشغلوا العامة بتقرير أمور العقيدة، هذا لا يعد من أهل العلم، بل يعد من أهل الجهل.

[أجوبة أهل التَّوحيد على شبهات المشركين إجمالًا وتفصلًا أولًا: ذكر الجواب المجمل]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأنا أذكر لك أشياء مِمَّا ذكر اللَّه في كتابه جوابًا لكلام احتجَّ به المشركون في زماننا علينا فنقول:

جواب أهل الباطل من طريقين: مُجملٌ ومفصَّلٌ.

أمَّا المُجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عَقِلَهَا، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧] وقد صَحَّ عن رسول اللَّه ﷺ أنَّه قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّه فَاحْذَرُوهُمْ»(١).

مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] أو استدلَّ بالشَّفاعة أنَّها حقٌّ، وأنَّ الأنبياء لهم جاه عند اللَّهِ، أو ذكر كلامًا للنَّبِيِّ ﷺ يستدلُّ به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الَّذي ذكره فجاوبه بقولك: إنَّ اللَّهَ ذكر أنَّ الَّذينَ في قلوبهم زيغ يتركون

(١) أخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، البخاري، برقم (٤٥٤٧) ومسلم، برقم (٢٦٦٥).

المُحكم، ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أنَّ اللَّهَ ذكر أنَّ المشركين يُقِرُّون بالرُّبوبيَّة وأنَّ كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغيِّر معناه.

وما ذكرته لي أيُّها المشرك من القرآن أو كلام النَّبِيِّ ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أنَّ كلام اللَّه لا يتناقض، وأنَّ كلام النَّبِيّ ﷺ لا يخالف كلام اللَّهِ ﷻ.

وهذا جواب سديدٌ، ولكن لا يفهمه إلَّا من وَفَّقه اللَّه تعالى فلا تستهن به، فإنَّه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصِّلَت: ٣٥].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلام المؤلف، كلام عظيم وجيِّد وسديد، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ جواب أهل الباطل من طريقين: مُجملٌ ومُفصَّلٌ؛ لأنَّ أهل الباطل من المشركين شَبَّهوا على العامَّة بأشياء كثيرة، واحتجوا على الشَّيخ بها، وكاتبوه في ذلك ليصححوا ما هم عليه من الباطل من دعوة أهل القبور والاستغاثة بالأموات وبالملائكة والجنّ فأجابهم إجمالًا وتفصيلًا رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالمُجمل جوابًا لكلِّ شُبهة يصلح للعالم المتبصر ولغيره يجيب به، فيقول: لمن ادعى أنَّ التَّعلق بالأولياء أو بالأنبياء ليس من الشِّرك، وأنَّ لهم جاه، وأنَّ اللَّهَ يشفعهم فيمن دعاهم، أو استغاث بهم **تقول له**: أنا قلت لك شيئًا مفصلًا واضحًا أنَّ اللَّهَ حَرَّم الشِّرك ودعاء غيره، وحكم على المشركين بالشِّرك والكُفر باللَّهِ بدعائهم

الأموات والاستغاثة بهم، أو بالرُّسل أو بالجنِّ أو بالنُّجوم أو بغير ذلك، وهذا شيء مُحكم واضح من القرآن والسُّنَّة ومن سيرة النَّبيِّ ﷺ.

وما قلتَهُ لي من أنَّ لهم جاهٌ، عند اللَّهِ أو شفاعة لا أفهم أنَّه يدلُّ على ما ذكرت من الشِّرك، ولا أعرف هذا من هذه النصوص وكلام اللَّه لا يتناقض، وكلام الرَّسول لا يخالف كلام اللَّه، واللَّهُ أخبر عن أهل الباطل أنَّهم يتَّبعون المُتشابه، ويتركون المُحكم فالواجب عليك أن تأخذ بالمُحكم الواضح الَّذي بَيَّن فيه ﷻ تحريم الشِّرك وتحريم دعوة غير اللَّهِ.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمر: ٦٥] وقال جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] كل هذا محكم واضح، وأنَّ اللَّهَ أبطل شبهتهم وردَّ عليهم وبيَّن كفرهم، وأنَّ زعمهم أنَّهم يُقرِّبونهم إلى اللَّهِ زُلفى، وأنَّهم شفعاء باطل، ولا ينفعهم، ولا يجزي عنهم شيئًا.

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾ [فَاطِر: ١٣-١٤] وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يُونس: ١٨] قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣].

فعليكَ بهذا المُحكم الواضح ودع عنك التَّعلق بأشياء لا تدلُّ على ما أردتَ من قوله جلَّ وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] نعم أولياء اللَّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون مدحهم اللَّه، لأنَّهم آمنوا واتقوا؛ فكلّ من أطاع اللَّه ورسوله واستقام على الحقِّ فهو وليٌّ جعلنا اللَّه وإيَّاكم منهم، وكذلك الرُّسل ممدوحون بأنَّهم أطاعوا اللَّه، وبلغوا رسالاته، كان هذا عملهم وهو لهم؛ لكن ليس معناه أنَّهم يُدعون من دون اللَّهِ، ولا يُستغاث به، ولا يُنذر لهم.

وهكذا الأنبياء والصَّالحون كلُّهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكلّهم أولياء عملهم لهم، وصلاحهم لهم، وعباداتهم لهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون من أجل طاعتهم لِلّهِ وقيامهم بحقِّه؛ لكن لا يدعون مع اللَّهِ، كون النَّبيّ ﷺ جاه عند اللَّهِ، كما قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] وجاه الرَّسول أعظم من كلِّ هذا لا يدلُّ على جواز الشِّرك بدعائه.

وجاه الرَّسُول عظيم، يَشْفع يوم القيامة، كونه له، والأولياء لهم جاه، ولهم منزلة عند اللَّهِ، ولهم شفاعة؛ لكن مَن يقول لَكَ: إنَّهم يُدعون مع اللّهِ؛ لأجل هذا؟! فهذا تعلق باطل، كرامتهم لهم، نعم، يشفعون فيمن رضي اللَّهُ قوله وعمله، والمُشرك لا يرضى اللَّهُ قوله ولا عمله؛ لأنَّ اللَّهَ يقول جلَّ وعلا: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزُّمَر: ٧] فلا يشفعون له، وأخبر أنَّ الكُفَّار مغضوب عليهم، وأنَّهم ضالون، فلا شفاعة فيهم، كلُّ هذا مُحكم واضح.

إنَّ الكَافر لا شفاعة له، ولا ينفعه اعتقاده أنَّ هؤلاء أولياء ولهم جاه، جاههم لهم وعملهم الصَّالح لهم، ولا ينفعه هذا الَّذي تعلق به.

وهكذا الرُّسل عملهم لهم، وصلاحهم لهم، ولا ينفع المشرك اعتقاده أنَّهم صالحون أو كونهم أولياء أو رسلًا لشركه الَّذي أبطل عمله بدعائهم من دون اللَّهِ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعَام: ٨٨] فشركه أحبط عمله سواءً أشرك برسولٍ أو بوليٍّ أو بنجم أو بجنٍّ أو بصنم، وهذه التَّعلقات بكونهم أولياء أو رسل باطلة هم أولياء وهم رسل، ولكن لا يجوز التَّعلق بهم، كما أنَّه لا يجوز أن يتعلق بالملائكة ولا بالجنِّ ولا بالأصنام ولا بالكواكب ولا بغير ذلك، وكل هذا واضح لأهل العلم والإيمان والبصيرة، ولكن بعض النَّاس قد يخفى عليه هذا لقلة علمه، وعدم بصيرته، قد يلتبس عليه بعض الأمر.

لكن ينبغي لكَ أن تعلم أنَّ هذا جواب جيِّد، وهو أن تقول له: أنا أعطيك شيئًا مُحكمًا، وأَستدلُّ عليكَ به، أمَّا الَّذي يشتبه عليكَ، فاللَّهُ أخبرنا أنَّ الَّذين في قلوبهم زيغ يَتَّبعون المُتشابه، دعنا من المتشابه ونجتمع أنا وإيَّاكَ على المُحكم، الَّذي بيَّنه اللَّهُ في قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] هذا واضح بيِّنٌ في الرَّدِّ عليهم: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢] إلى غير هذا من الأدلَّة.

فائدة:

كل مشرك كافر، وكل كافر مشرك، والمنافق أشدهم كفرًا، نسأل اللَّه العافية، فهو مشرك كافر، والمنافق هو الَّذي يضمر العداء للإسلام، والكفر به، هذا المنافق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١٤٥].

■ **مسألة: من هم أولياء اللَّه؟**

هم المؤمنون، كل من أطاع اللَّه ورسوله، واستقام على الحقِّ، فهو من أولياء اللَّه، نسأل اللَّه أن يجعلنا وإيَّاكم منهم، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢].

■ **مسألة: في تميِّز حب العبادة عن غيره:**

حُبُّ الزَّوجة أو حبُّ المال أكثر من حبِّ اللَّه، معصية من المعاصي، لكن الحبُّ الَّذي يقتضي عدم وجود المحبة للَّه، فهذا كفر أكبر، نسأل اللَّه العافية، أصل الحبُّ لابُدَّ منه، لكن يكون حبُّ اللَّه وحبّ رسوله ﷺ أكمل مما سواهما هذا الحبُّ هو من كمال الإيمان الواجب، وكمال التَّوحيد أن يكون حبُّ اللَّه ورسوله أكمل.

أمَّا من قدم كلام شيخه من فرط حبِّه له على كلام اللَّه ورسوله يكون معصيةً وتقليدًا أعمى، وإذا استحل ذلك، فقد يكون كفرًا أكبر نعوذ باللَّه من ذلك.

[بيان ذكر الجواب المفصل على أبرز الشُّبه]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأمَّا الجواب المُفصَّل: فإنَّ أعداءَ اللَّهِ لهم اعتراضات كثيرة على دين الرُّسل يَصدون بها النَّاس عنه.

منها قولهم: نحن لا نشرك باللَّهِ، بل نشهد أنَّه لا يخلق ولا يرزق، ولا ينفع ولا يضر إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلًا عن عبد القادر أو غيره؛ ولكن أنا مُذنبٌ والصَّالحون لهم جاهٌ عند اللَّهِ، وأطلب من اللَّهِ بهم.

فجاوبه بما تقدَّم[1]، وهو أنَّ الَّذين قاتلهم رسول اللَّهِ ﷺ مُقِرُّون بما ذكرتَ لي، ومُقِرُّون بأنَّ أوثانهم لا تدبِّر شيئًا، وإنَّما أرادوا الجاه والشَّفاعة، واقرأ عليه ما ذكر اللّه في كتابه ووضّحه.

فإن قال: هذه الآيات نزلت فيمن يَعبدُ الأصنام، كيف تجعلون الصَّالحين مثل الأصنام، أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا.

فجاوبه بما تقدَّم[2] فإنَّه إذا أقرَّ أنَّ الكُفَّار يشهدون بالرُّبوبيَّة كلّها لِلَّهِ، وأنَّهم ما أرادوا مِمَّا قصدوا إلَّا الشَّفاعة، ولكن أراد أن يفرِّق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فاذكر له أنَّ الكُفَّار منهم من يدعو الصَّالحين والأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الَّذين قال اللَّه فيهم:

(١) في صفحة (١٦).
(٢) في صفحة (٢١).

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] **ويدعون عيسى بن مريم وأمه، وقد قال اللَّهُ تعالى:** ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المَائدة: ٧٥-٧٦].

واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سَبَأ: ٤٠-٤١] **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائدة: ١١٦].

فقل له: أعرفتَ أنَّ اللَّهَ كَفَّر مَن قصد الأصنام، وَكَفَّر ـ أيضًا ـ مَن قصد الصَّالحين، وقاتلهم رسول اللَّهِ ﷺ.

فإن قال: الكُفَّار يُريدون منهم النَّفع، وأنا أشهد أنَّ اللَّهَ هو النَّافع الضار المُدبِّر، لا أريد إلَّا منه، والصَّالحون ليس لهم من الأمر شيء؛ ولكن أقصدهم أرجو من اللَّهِ شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكُفَّار سواءً بسواء، فاقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] **وقوله تعالى:** ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يُونس: ١٨]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بدأ بالجواب المُجمل كما تقدَّم، ثُمَّ بالمُفصَّل، فإنَّه يجيب أهل الشُّبَهِ بالجواب المُجمل، والمُفصَّل؛ لأنَّهم أقسام:

منهم الفاهم ويحتاج إلى التَّفصيل، ومنهم الجاهل يكفيه الرَّدُّ المُجمل.

والمقصود: أنَّ أعداءَ اللَّه من المشركين لهم شُبَهٌ، يشبِّهون بها على النَّاس دين الرُّسل، وَيُلبِّسون بها، فلهذا ذكر الجواب المُفصَّل الَّذي يردُّ به على المشركين.

فإذا قالوا: لا تجعلونا مثل الكُفَّار الأوَّلين، يَعبدون الأصنام هُبل وغيره، ونحن ما نَعبد الأصنام؛ بل نتوسل بالصَّالحين، والأنبياء والأخيار، فتقول له: أنت فعلت مثل ما فعلوا هم، هم ما يَعبدون الأصنام وحدها، بل عبدوا الأصنام، وعبدوا الأنبياء والصَّالحين، مثل ما ذكر اللَّه عنهم، وعبدوا اللَّات وهو رجل صالح، وعبدوا عيسى وهو نَبِيٌّ، وعبدوا أمه وهي امرأة صالحة، وعبدوا الأولياء وغيرهم من سائر الصَّالحين فهم مثلكم.

فإذا قال: أنا لا أُشرك باللَّهِ شيئًا، وأنا أعرف أنَّ اللَّهَ هو الخالق، الرَّازق، المُدبِّر، المُحيي، المُميت، ولكني أطلب منهم الشَّفاعة وأتوسل بهم إلى اللَّهِ جلَّ وعلا ليقربوني إلى اللَّهِ زُلفى.

تقول له: هذا هو دينُ المُشركين، وإذا أردت الصَّواب: فاعْبد اللَّه وحده، ادْعه وحده، ولا تدع الأصنام، ولا الأنبياء، ولا الصَّالحين، الدَّربُ واحد سواءً دعوتَ نبيًّا أو صالحًا أو صنمًا أو شجرًا، فكلّه شرك باللَّهِ لا يجوز، وإذا كانوا صالحين وأنبياء، فصلاحهم وأعمالهم لهم وليس لك، والتَّوسل يكون بالأعمال

الصَّالحة، تَقتدِي بهم، تصلِّي كما صلوا، تصوم كما صاموا، تخلص لِلَّهِ العبادة كما أخلصوا، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما فعلوا، هذا هو التَّأسي بهم تعمل مثل أعمالهم الصَّالحة الطَّيِّبة.

أمَّا أن تدعوهم مع اللَّه، تقول: يا رسول اللَّه انصرني، أو اشف مريضي، أو يا سيِّدي عبد القادر أو يا أحمد البدوي، أو يا الحسين أو يا الحسن أو يا عليّ، تدعوهم وتقول: أنا لا أعبدهم، ولكن أدعوهم لأنَّهم صالحون، أو أنبياء، فهذه نفس عبادة أبي جهل، وعتبة بن ربيعة وأشباههم من كُفَّار قريش، وهذا دينهم، ذكر اللَّهُ أنَّهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] لا نعبدهم لأنَّهم يخلقوا ويرزقوا؛ بل ليقربونا إلى اللَّه زلفى.

وقال تعالى في حقِّهم: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨].

فاللَّه قال عنهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] لأنَّهم طلبوها من غير وجهها، من يريد الشَّفاعة يطلبها من اللَّه، يقول: اللَّهُمَّ شفع فيَّ أنبياءك، اللَّهُمَّ شفع فيَّ عبادك الصَّالحين، ويسلك طريقهم، يعبد اللَّه كما عبدوه، ويدعوه كما دعوه، يستغيث به كما استغاثوا به، وهكذا يسير على نهجهم في العبادة لِلَّهِ وحده، وفي طاعة أوامره وترك نواهيه.

أمَّا أن يدعوهم مع اللَّهِ، يستغيث بهم، ينذر لهم ويذبح لهم، يطوف بقبورهم، هذا نفس فعل المشركين الأولين، فدين المشرك: هو التَّقرب إلى اللَّهِ بعبادة الصَّالحين يجعلهم وسائط يدعوهم مع اللَّه ويستغيث بهم، ويقول: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨] نفس ما قاله الأوَّلون سواء بسواء.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١] قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] هم غافلون عن الدُّعاء: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ جميع النَّاس ﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦].

وقال عن عُبَّاد المسيح وأمه وغيرهم من الصَّالحين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعني: أولئك الَّذين يدعوهم أهل الشِّرك ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هم يبتغون إلى ربِّهم الوسيلة، وهي القربى إليه بطاعته: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] هذا شأنهم، يعبدون اللَّه، ويتقربون إليه، ويخافونه ويرجونه، وهم أنبياء وصالحون، فإذا كنت صادقًا تريد أن تتبعهم فاعمل كأعمالهم، لا تعبدهم؛ فهم عبيدٌ مثلك مخلوقون مرزوقون لا يملكون لك ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

فإذا كانوا هكذا وأنت تُقرُّ بهذا فادع اللَّه الَّذي دعوه، واعبد اللَّه الَّذي عَبدوه، وانذر له، واذبح له، وصلِّ له وصُم له، وغير ذلك من العبادات الَّتي فعلوها، حتَّى تكون مثلهم، وحتَّى يحصل لك الأجر، والثَّواب والنَّجاة مثلما حصل لهم.

فهذه حال المشركين في زمان المؤلف وقبله، في زمن قريش، وقبل ذلك في زمن الأوائل زمن قوم نوح وهود وصالح هذا شركهم وهكذا في زمان الآن.

ومن يقول: إنَّ آلهته تخلق وترزق، هذا من الشِّرك النَّادر شرك الرُّبوبيَّة، أغلب المشركين شركهم في الألوهية في التَّعبد، وطلب

النَّجاة والتَّوسل بهم بطلب شفاعتهم، طلب تقريبهم إلى اللّهِ، طلب أن يشفوا مريضهم، لا أنَّهم يشفون بأنفسهم لكن يشفون مريضهم بأنَّهم يشفعون إلى اللّهِ، ويسألونهم وهم رفاة في القبور، وهذا من الجهل العظيم، ميِّت قد انتقلت روحه من جسده لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، هو الَّذي يشفع لك، هو الَّذي يُخلِّصك من العذاب، ومن المرض بشفاعته؟! هذا هو الجهل الكبير، نسأل اللَّه العافية.

■ **مسألة: في التفريق بين طلب قضاء الحاجات والشَّفاعة:**

من يفهمون أنَّ الشِّرك هو طلب قضاء الحاجات من الأموات، أمَّا طلب الشَّفاعة منهم بالدُّعاء ليس هو من الشِّرك، ولكنه بدعة؟ الجواب: لا، بل من الشِّرك الأكبر؛ لأنَّهم لا يستطيعون أن يدعو له، ولا يشفعوا له، هم مرتهنون بأعمالهم، الدُّعاء، والشَّفاعة في حياتهم؛ ولهذا لما استسقى عمر والصَّحابة ما استسقوا بالنَّبِيِّ ليشفع لهم، استسقوا بالعباس، وبالدُّعاء، ولو كان ذلك شرعي لاستسقوا بالنَّبِيِّ ﷺ ولقالوا: أدعو لنا يا رسول اللَّه، وهو في قبره، أمَّا دعاء اللَّه عند القبر فبدعة.

كذلك الطلب من القبر، طلب لما لا يملك، ولا يقدر عليه، ومن فعل ذلك فقد أشرك باللَّه على الصَّحيح كما صرح به شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]، والطواف بالقبر بنية صاحب القبر كفر أكبر وشرك أكبر، أما الطواف يقصد التقريب إلى اللَّه ظنًا منه مشروعية ذلك كالطواف بالكعبة فبدعة.

---

(١) ينظر: «فتاوى نور على الدرب» لسماحته جمع د. عبداللَّه بن محمد الطيار، والشيخ محمد بن موسى الموسى (١/ ٢٨٩ س١٢٨ و٤٠١ س١٥٤)، «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٤٩ س٢).

[بيان ذكر الجواب المفصَّل لأبرز ثلاث شُب يودونها على دعاة التوحيد]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«واعلم أنَّ هذه الشُّبَهة الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفتَ أنَّ اللَّهَ وضَّحها في كتابه وفهمتها فهمًا جيِّدًا، فما بعدها أيسر منها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلَّا اللَّهُ، وهذا الالتجاء إلى الصَّالحين ودعاؤهم ليس بعبادة، فقل له: أنت تقِرُّ أنَّ اللَّهَ فرض عليك إخلاص العبادة، وهو حقُّه عليكَ؟ فإذا قال: نعم، فقل له: بيِّن لي هذا الَّذي فرضه عليكَ، وهو إخلاص العبادة لِلَّهِ وحده، وهو حقُّه عليك، فإن كان لا يعرف العبادة، ولا أنواعها فبيِّنها له، بقولك: قال اللَّهُ تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

فإذا أعلمته بهذا، فقل له: هل علمتَ هذا عبادة لِلَّهِ؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم، والدُّعاء مُخّ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنَّه عبادة ودعوت اللَّه ليلًا ونهارًا خوفًا وطمعًا، ثُمَّ دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره، هل أشركت في هذه العبادة مع اللَّه غيره؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم.

فقل له: فإذا علمت بقول اللَّه تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] وأطعت اللَّه ونحرت له، هل هذا عبادة؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم، فقل له: فإذا نحرت لمخلوقٍ نَبِيٍّ أو جِنِّيٍّ أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير اللَّهِ؟ فلا بُدَّ أن يُقِرَّ ويقول: نعم.

وقل له أيضًا: المشركون الَّذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصَّالحين واللَّات وغير ذلك؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم إِيَّاهم إلَّا في الدُّعاء والذَّبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلَّا فهم مُقِرُّون أنَّهم عبيد اللَّهِ تحت قهره، وأنَّ اللَّهَ هو الَّذي يدبِّر الأمر، ولكنهم دعوهم والتجؤوا إليهم للجاهِ والشَّفاعة، وهذا ظاهر جدًّا».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا عرفتَ أنَّ هذه الشُّبَهَ الثلاث قد بان بطلانها، وهي أكبر ما عندهم، عرفتَ أنَّ ما بعدها أهون منها.

تقدَّمت الشُّبهات الثلاث: قول: المشركون لايشركون مع اللَّه في الخلق والرِّزق، وقول القائل: وأنا لا أشرك باللَّهِ شيئًا؛ بل أعتقد أنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق، وتبيَّن له أنَّ المشركين ما أشركوا في الخلق، بل يعرفون أنَّ اللَّهَ هو الخلَّاق الرَّزاق.

كذلك إذا قال: الشِّركُ عبادة الأصنام بيَّنت له أنَّ المشركين عَبَدُوا الأصنام وغير الأصنام، **فإذا قال**: أنا لا أعبد الصَّالحين، وإنَّما أتقرب إليهم ليشفعوا لي، **فقل**: هذا هو قصد المُشركين ما عبدوهم لأنَّهم يخلقون ويرزقون، بل عبدوهم ليشفعوا لهم، وليقرِّبُوهم إلى اللَّهِ زلفى، فنفس ما فعلته هو الَّذي فعله المشركون.

وقد تبيَّن بطلان هذه الشُّبَه، تبيَّن أنَّ المشركين مُقِرُّون بأنَّ اللَّهَ هو الخلَّاق الرِّزاق، وأنَّه ربّهم وإنَّما كان شركهم في غير ذلك بالتَّقرب إلى غير اللَّهِ بالعبادات، وعرفتَ أيضًا أنَّ شرك المُشركين ليس مخصوصًا بعبادة الأصنام، منهم من عَبَدَ الأصنام، ومنهم من

عَبَدَ الملائكة، ومنهم من عَبَدَ الأنبياء والصَّالحين، وكذلك عرفتَ أنَّهم إنَّما عبدوهم ليقربوهم إلى اللَّهِ زلفى وليشفعوا لهم، فهذا نفس قصد الآخرين كما هو قصد الأوَّلين.

فإذا عرفتَ بطلان هذه الشُّبَه الثَّلاث، عرفتَ أنَّ ما بعدها أسهل منها، ومعلوم أنَّ الأوَّلين يؤمنون بأنَّ اللَّهَ هو الخلَّاق الرَّزاق ومدبر الأمور، ومع هذا حكم اللَّه عليهم بالكفر، وقاتلهم النَّبِيّ ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم، وهكذا من بعدهم.

فإذا قال: أنا لا أَعبدُ إلَّا اللَّهُ، **فقل له**: ما معنى عبادة اللَّه فَسِّرها؟ **فإذا قال**: أنا أُقِرُّ بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق، **قلت**: مضى أنَّ هذا قد أقرَّ به المشركون، يقِرُّون بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق، وأنّه ربّهم ومدبِّر أمورهم.

فإن قال: أنا لا أعبد إِلَّا اللَّهُ، ولكني أعتقد في الصَّالحين أنَّهم يشفعون ويقربون، **قل**: هذا هو شرك الأوَّلين، فسِّر لنا عبادة اللَّهِ، **فإذا قال**: عبادة اللَّه أن أدعوه وأطلب منه، الهداية والرِّزق.

فقل: هذه العبادة الَّتي أنت تؤمن وتقرُّ بأنَّها عبادة لِلَّهِ، فإذا دعوته تطلب منه الرِّزق والشَّفاء، والمدد، هذه عبادة، فإذا صرفتها لغير اللَّهِ، فطلبتها من الوليِّ من الصَّنم من الجِنِّ من الملائكة ألا تكون أشركتَ باللَّهِ في هذه العبادة؟! فلا بُدَّ أن يُقرَّ.

وهكذا الصَّلاة والذَّبح إذا صلَّى العبد لِلَّه وذبح لِلَّه هل هذه عبادة؟ لا بُدَّ أن يقول: نعم، فإذا ذبح لغير اللَّهِ، ذبح الإبل أو البقر أو الغنم للأصنام، أو صلَّى لها أو سجد لها ألا يكون عبادة لها؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم.

وبهذا يتبيَّن بطلان شُبَهِ المُشركين، وأنَّ من فصَّلها وانتبه لها وجادلهم بالحكمة والأسلوب الحسن يتضح الأمر لمن أراد اللَّهُ هدايته، وأمَّا مَن أراد اللَّهُ شقاوته فلا حيلة فيه، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يُونس: ١٠١] وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يُونس: ٩٦-٩٧].

من استحكمت في حقِّه الشَّقاوة لا ينتفع بشيء، بل يجحد ويأبى: ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ فأبو جهل، وعتبة بن ربيعة وأشباههم جاءتهم الآيات، وفصَّلها لهم النَّبيُّ ﷺ ولكن كفروا عن جحد، وعناد، كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] هكذا هم يجحدون، وقال في قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النَّمل: ١٤].

المقصود: أنَّ كثيرًا من أعداء اللَّهِ يأبى الحقّ جحدًا وعنادًا، لا عن شكٍ في ما جاء به الرَّسول ﷺ، ولكن يحملهم الجحود، أو حبَّ المال، مثلما فعل بلعام الَّذي انسلخ من دينه، وهو يعلم أنَّ موسى عليه السلام جاء بالحقِّ، ومع هذا يدَعُ الحقَّ؛ طاعة لقومه، وإيثارًا للدُّنيا على الآخرة، حتَّى أهلكه اللَّه وانسلخ من العلم والإيمان، نسأل اللَّه العافية.

فالمقصود: أنَّ المُشركين أقسام:

منهم الجهلة: الَّذين غلب الجهل عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ﴾ [الفُرقان: ٤٤] هذه حال الأكثرية.

ومنهم يكفر جحدًا وعنادًا وتكبرًا، وإلَّا فهو يعلم أنَّ الحقَّ مع الأنبياء، ومع المؤمنين، لكن يقول: لا أكون تبعًا لهؤلاء، ولا يرضى أن يكون تبعًا للمسلمين تكبرًا وعنادًا وبغيًا أو من أجل مال يُعْطاه، أو وظيفة ينالها، لو أسلم لنزعت منه، فيترك الإسلام من أجل الوظيفة أو المال الَّذي يتقاضاه، أو من أجل محبة الأقارب، وأن يكون معهم على كفرهم، وما أشبهه، كما جرى لكثير من كُفَّار قريش وغيرهم، حملهم البغي والحسد، والجحود والتكبر على إنكار الحقّ، وعدم الرِّضا به، كأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومثل أبي طالب عَمُّ النَّبِيّ ﷺ وغيرهم، نسأل اللَّهُ العافية.

■ مسألة: حصر العبادة في الصَّلاة:

بعض القبوريين يحصرون العبادة في الصَّلاة، فلا يصلون لغير اللَّه، ولو فعلوا غير ذلك من الذَّبح والدُّعاء والاستغاثة ونحوها، هذا من الجهل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥] وقال تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يُوسُف: ٤٠] وقال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العَنكبوت: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ٢١] ولم يخص الصَّلاة، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦] وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعرَاف: ٥٥] إلى غير ذلك من الآيات.

■ مسألة: حصر الكفر على التكذيب:

من يحصر الكفر على التكذيب هذا جاهل، جهل مركب، نسأل الله العافية، فالَّذين يرون أنَّ الكفر هو التكذيب، معناه أن الَّذي

يصلي لغير اللَّه، ويسجد لغير اللَّه ولا يكذِّب، أو يسبَّ اللَّه ولا يكذِّب لا يصير كافرًا حتَّى يكذِّب، نسأل اللَّه العافية.

■ **مسألة: سجود معاذ للنَّبِيِّ ﷺ:**[1]

هذا في صحته نظر؛ لكن لو صح، فإنَّ معاذًا ظنَّ أنَّ هذا جائز عندما رأى كبار قادة المشركين يفعل لهم ذلك، فظنَّ أنَّه للنَّبِيِّ أفضل، فله شبهة فِي أوَّل الإسلام؛ لكن لما أستقر الدِّين عرف المسلمون أنَّ السجود للَّه وحده، ولا يجوز السجود لغيره، وكان هذا قد أشكل على معاذٍ، أمَّا بعد فلا.

■ **مسألة: الإلحاد أعظم من الشِّرك:**

الَّذين لا يؤمنون بشيء، لا بربّ ولا بخالق، ولا ببعث ونشور، مثل الشُّيوعين هم المشركين وأعظم من الشِّرك لأنَّه كفر إلحاد فكفرهم أعظم من كفر مشركي قريش، فهم ملحدون لا يؤمنون بربّ ولا خالق ولا رازق فكفرهم أكبر.

(١) أخرجه عن عبد اللَّه بن أبي أوفى رضي الله عنه ابن ماجه، برقم (١٨٥٣).

[لا يجوز طلب الشَّفاعة إلَّا من مالكها ﷻ]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قال: أتنكر شفاعة رسول اللَّه ﷺ، وتبرأُ منها؟ فقل: لا أُنكرها، ولا أَتبرأُ منها، بل هو ﷺ الشَّافع والمُشفَّع، وأرجو شفاعته، لكن الشَّفاعة كُلُّها لِلَّهِ، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤] ولا تكون إلَّا من بعد إذن اللَّهِ، كما قال ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] ولا يشفع في أحد إلَّا من بعد أن يأذن اللَّه فيه، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] وهو لا يرضى إلَّا التَّوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥].

فإذا كانت الشَّفاعة كُلّها لِلَّهِ ولا تكون إلَّا بعد إذنه، ولا يشفع النَّبِيُّ ﷺ ولا غيره في أحد حتَّى يأذن اللَّه فيه، ولا يأذن إلَّا لأهل التَّوحيد، تبيَّن لكَ أنَّ الشَّفاعة كُلّها لِلَّهِ، وأطلبها منه، وأقول: اللَّهُمَّ لا تحرمني شفاعته، اللَّهُمَّ شفِّعه فيَّ وأمثال هذا.

فإن قال: النَّبِيُّ ﷺ أُعطي الشَّفاعة، وأنا أطلبه مِمَّا أَعطاهُ اللَّه.

فالجواب: أنَّ اللَّهَ أعطاه الشَّفاعة ونهاك عن هذا، فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] فإذا كنت تدعو اللَّهُ أن يشفِّع نبيَّه فيك، فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] وأيضًا فإنَّ الشَّفاعة أعطيها غير النَّبِيِّ ﷺ فصح أنَّ الملائكةَ يشفعون، والأفراط

يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: إنَّ اللَّهَ أعطاهم الشَّفاعة، وأنا أطلبها منهم؟! فإن قلت: هذا رجعت إلى عبادة الصَّالحين الَّتي ذكر اللَّهُ في كتابه، وإن قلت: (لا) بطل قولك: أعطاه اللَّهُ الشَّفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه اللَّه».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بسط الكلام في مسألة الشَّفاعة، وقد أحسن وأجاد في ذلك، وأوضح ما ينبغي إيضاحه، وما فيه الحُجَّة القاطعة لأهل الشِّرك.

فإذا قال: أنا أطلب من الرَّسول ﷺ الشَّفاعة، أتنكر شفاعة الرَّسول؟ أتبرأُ مِنْها؟ **تقول**: لا أنكرها، ولا أتبرأ منها، بل أثبتها له، اللَّهُ أعطاه شفاعة وأعطى الأنبياء، وكل ذلك حقٌّ، لكن أعطاهم الشَّفاعة ونهاك أن تطلبها منهم، فهي ملك لِلَّهِ جلَّ وعلا؛ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤] فهي ملكه يعطيها من يشاء، نطلبها من مالكها.

ثُمَّ هو سبحانه لا يَشفعُ أحدٌ عنده إِلَّا بإذنه، ولا يأذن إِلَّا لأهل التَّوحيد، ولا يرضى إِلَّا أعمالهم، فطلبها من شخص ـ من النَّبِيِّ أو الملك أو الوليّ أو الفرط ـ طلب مِمَّن لا يملك، المالك للشَّفاعة هو اللَّه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤] ثُمَّ إنَّ طلبهم للشَّفاعة من غير اللَّهِ هو وقوع في الشِّرك؛ لأنَّ طلبهم والاستغاثة بهم والنَّذر لهم من الشِّرك، وهذا يصادم قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] وقوله: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافر: ٦٠].

فالواجب: أن يُطلب هو ﷻ، ويُخصَّ بالدُّعاء، وتطلب منه الشَّفاعة؛ لأنَّها ملكه، وهو لا يعطيها إلَّا من رضَيَ قوله وعمله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النّجْم: ٢٦] وقال سبحانه: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزُّمَر: ٧] فطالما لا يرضى لعباده الكفر، فلا بُدَّ من التَّوحيد الَّذي يرضاه اللَّه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٩] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥].

هو يرضى التَّوحيد والإسلام واتِّباع الرسول ﷺ فإن أتيت به شُفِّع فيكَ مع النَّاس من أهل التَّوحيد في دخول الجنَّة، وإن دخلتَ النَّار بذنوبك كنت من أهل شفاعته، إذا متَّ على التَّوحيد والإسلام.

فالحاصل: أنَّه **إذا قال**: أتنكر الشَّفاعة؟ **تقول له**: لا أنكرها، بل أؤمن بها وأقرُّ، ولكن لا بدَّ من سؤالها من مالكها، واللَّهُ سبحانه لا يعطيها أحدًا إلَّا بإذنه وبرضا عن عمل المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النّجْم: ٢٦].

وهو سبحانه لا يرضى بالشِّرك، لا يرضا إلَّا التَّوحيد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمَان: ١٣] وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزُّمَر: ٧].

والشَّفاعة العُظمى في أهل الموقف لا تحصل إلَّا بعد إذنه سبحانه، ثُمَّ الشَّفاعة في أهل الجنَّة أن يدخلوها بعد إذنه، ثُمَّ الشَّفاعة في العصاة بعد إذنه، فأنت ادْعُ اللَّه، وأخلص له العبادة، وأبشر بالشَّفاعة.

والرَّسول ﷺ أُعطيها وأعطيها غيره أيضًا، الأولياء والملائكة لهم شفاعة، فلا تقل: إنِّي أطلب من النَّبِيِّ والملائكة والأولياء.

فإن قلتَ: هذا وقعت في الشِّرك، وفي عبادة الصَّالحين، الَّتي أوضحت سابقًا أنَّها شرك، وإن قلت: لا يجوز فهذا هو الصَّواب، وهذا هو الحقُّ مع النَّبِيّ ﷺ ومع غيره.

وطلب الشَّفاعة إنَّما هو من اللَّهِ، وأنت تأخذ بالأسباب، تتقي اللَّه، وتؤمن به، وتوحِّده سبحانه، وتترك الإشراك به، وتجتهد في ترك المعاصي، ومع هذا تقول: اللَّهم شَفِّع فيَّ نبيَّك، اللَّهم شَفِّع فيَّ عبادك الصَّالحين، اللَّهم شفِّع فِيَّ أفراطي، هذا كُلُّه مع الطَّاعة والاستقامة، لا تُدِلَّ بنفسك وعملك، ولا تأمن، ولا تَمُنَّ على اللَّه، ولا تعجب بعملك، احذر من الغلو، واحذر من الرُّكون إلى عملك، والمنُّ بعملك من الإدلاء به، ولكن دائمًا ترى أنَّك مُقصِّر حتَّى يَقبل اللَّهُ منك عملك ويرحمك.

فالمؤمن: يعمل ويكدح ويجتهد، يرجو ربَّه أن يتقبل منه، ويؤمن بما أخبر اللّه به رسولَهُ من نجاة الموحِّدين المؤمنين، وهلاك الكافرين، ومن كون الشَّفاعة عنده لا تكون إلَّا بإذنه، ولا تكون لأحد إلَّا لمن رضي اللَّهُ قوله وعمله، يؤمن بما أخبر اللَّه به رسوله، ويعمل على ضوء ذلك، عمل المُجِدِّ الخائف الوَجِل المُشفق، الَّذي

يريد اللَّه والدار الآخرة، ويخشى ذنوبه وسيئاته، فهو على وَجَلٍ، والشَّفقة من اللَّهِ أن يُؤخذوا بسيِّئة اقترفوها، أو عمل واجب فرطوا فيه، هذه حال أولياء اللَّهِ، حالهم مع الجِدِّ والنَّشاط والعمل، مع الخوف والوَجَل، وفَّق اللَّه الجميع.

■ **مسألة: الشَّفاعة:**

يقول اللَّه ﷻ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النِّسَاء: ٨٥] وفي الحديث، يقول ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**» كما في الصَّحيحين[(١)] وقد شفع النَّبِيّ ﷺ في بريرة رضي الله عنها، وهي جارية أعتقتها عائشة رضي الله عنها ولها زوجًا عبدًا مملوكًا اسمه مغيث، وكان يُحِبُّها حبًّا كثيرًا، وكان يبكي على فراقها، فلما رأى النَّبِيّ ﷺ حُبُّه لها، ومن تواضعه ﷺ أتاها فقال: «**يَا بَرِيرَةَ لَوْ أَنَّكِ قَبِلْتِيهِ، وَلَوْ أَنَّكِ صَبَرْتِ مَعَهُ**» قالت يا سول اللَّه، تأمرني أو تشفع؟ ما هي بسهلة إنَّها تفهم، قال ﷺ ما آمرك «**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**» قالت: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ»[(٢)].

■ **مسألة:** الرضى عن المشفوع له شرط للشَّفاعة؛ لكن شفاعة النَّبِيّ ﷺ لعمه وقبول اللَّه ﷻ لها هذه شفاعة خاصة شفع له، ولكنه لم يقبل منه، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التَّوبَة: ١١٣] وكان ذلك قبل أن يعلم، وكان يقول:

---

(١) أخرجاه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، البخاري، برقم (١٤٣٢) ومسلم، برقم (٢٦٢٧).

(٢) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما البخاري، برقم (٥٢٨٣).

«**أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»[١] ثُمَّ بعد ذلك نهي، نهي فترك الشَّفاعة، هكذا في البخاري.

أمَّا أبوه وأمه ﷺ كانا في الجاهلية، وفي الحديث: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»[٢]. واستأذن ربَّه أن يستغفر لأمه فلم يؤذن له؛ لأنَّها ماتت في الجاهلية، على دين قومها، وهو عبادة الأوثان، هذا ظاهر الأحاديث أنَّها من أهل الكفر؛ لأنَّه استأذن أن يستغفر لها فلم يؤذن له، ويحتمل أن تكون من أهل الفترة، لكن جاء في بعض الروايات أنَّها من أهل النَّار،لعله وصلهم شيء من دين إبراهيم عليه السلام قامت عليهم به الحُجَّة، وما ذكرفي السير أنَّه وصل إلى قبر أمه[٣] هذا ثابت أنَّه استأذن أن يزور قبرها فأذن له في الزيارة[٤].

وهذا يدلُّ على جواز زيارة قبر الكافر من أهل الجاهلية للاعتبار لا للاستغفار، فأذن له أن يزورها، ولم يأذن له أن يستغفر لها، وما يذكر أنَّها أسلمت هذا ليس له أصل، من قال: إِنَّ أباه أسلم وأمه أسلمت كلها أخبار باطلة.

تنبيه: للنبي ﷺ ثلاث شفاعات خاصة به:

١- الشَّفاعة العُظمى لأهل الموقف خاصة به، يتأخر عنها جميع الرُّسل نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، فيقدم ويشفع ليفصل بين الخلائق.

---

(١) أخرجه عن سعيد بن المسيب عن أبيه البخاري، برقم (٣٨٨٤) ومسلم، برقم (٢٤).
(٢) أخرجه أنس مسلم، برقم (٢٠٣).
(٣) ينظر: السيرة النبوية، لابن كثير (١/ ٢٣٧).
(٤) أخرجه عن أبي هريرة مسلم،برقم (٩٧٦).

٢- الشَّفاعة في أهل الجنَّة ليدخلوها، وهو الَّذي يستفتح لهم باب الجنَّة.

٣- شفاعة خاصة بعمه أبي طالب أن يخفف عنه، نسأل اللَّه العافية، كان في غمرات من النار فشفع له فصار في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه[١].

■ **مسألة: طلب الشَّفاعة ممن يذهب للجهاد:**

من رأى رجلًا ذاهبًا إلى الجهاد فِي سبيل اللَّه، فقال له: إن استشهدت فاشفع لي عند اللَّه ﷻ، هذا يشفع له بعد الموت بعد البعث والنشور، يطلب منه الآن ويوصيه وهو حي هذا لا شيء فِيه، بمعنى أنَّه إذا بعثه اللَّهُ يوم القيامة يشفع له.

وسئل: عن صحة حديث: الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته[٢] وحديث: شفاعة الحافظ القرآن[٣].

الجواب: اللَّه أعلم يحتاج إلى النظر في أسانيدهما.

(١) ينظر: «فتاوى نور على الدرب» لسماحته، جمع، د. عبد اللَّه بن محمد الطيار، والشيخ محمد موسى الموسى (١/ ١١٧ ص ٥٥).

(٢) أخرجه عن أبي الدرداء ﷺ أبو داود، برقم (٢٥٢٢) وعن المقدام ﷺ الترمذي مطولًا، برقم (١٦٦٣).

(٣) أخرجه عن جابر ﷺ الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢٦٠ بر قم ٥٢٥٤).

[دعاء الصَّالحين والاستغاثة بهم شرك]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قال: أنا لا أُشرك باللَّه شيئًا حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصَّالحين ليس بشرك، فقل له: إذا كنت تقِرُّ أنَّ اللَّهَ حرَّم الشِّرك أعظم من الزِّنا، وَتُقِرُّ أنَّ اللَّهَ لا يغفره، فما هذا الأمر الَّذي عظَّمه اللَّه وذكر أنَّه لا يغفره؟

فإنَّه لَا يَدري: فقل له: كيف تُبرئُ نفسك، من الشِّرك، وأنتَ لا تعرفه؟! أم كيف يُحرِّم اللَّهُ عليكَ هذا ويذكر أنَّه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أنَّ اللَّهَ يحرِّمه ولا يبيِّنه لنا؟!

فإن قال: الشِّرك عِبادة الأصنام، ونحن لا نَعبدُ الأصنام، فقل: وما معنى عِبادةُ الأصنام؟ أتظن أنَّهم يعتقدون أنَّ تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذِّبه القرآن كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١] وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجرًا أو بنيةً على قبر أو غيره، يدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون: إنَّه يقربنا إلى اللَّهِ زُلفى، ويدفع عنا ببركته، ويعطينا ببركته، فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايات الَّتي على القبور وغيرها، فهذا أقرَّ أنَّ فعلهم هذا هو عِبادةُ الأصنام، وهو المطلوب.

ويقال له أيضًا: قولُكَ: الشِّرك عِبادةُ الأصنام هل مرادك أنَّ

الشِّرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصَّالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يَردُّه ما ذكر اللَّه في كتابه من كُفرِ من تعلق على الملائكة، أو عيسى، أو الصَّالحين، فلا بُدَّ أن يُقِرَّ لك أنَّ مَن أشرك في عبادة اللَّهِ أحدًا من الصَّالحين فهو الشِّرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسِرُّ المسألة أنَّه إذا قال: أنا لا أُشرك باللَّهِ، فقل له: وما الشِّرك باللَّه فسِّره لي، فإن قال: هو عِبادةُ الأصنام، فقل: وما معنى عِبادة الأصنام، فسِّرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلَّا اللَّهُ وحده، فقل: ما معنى عِبادة اللَّه وحده فسِّرها لي، فإن فسَّرها بما بيَّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرف فكيف يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفه؟!

فإن فسَّر ذلك بغير معناه بيَّنتَ له الآيات الواضحات في معنى الشِّرك باللَّهِ وعِبادة الأوثان، وأنَّه الَّذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأنَّ عِبادة اللَّهِ وحده لا شريك له، هي التي ينكرونها علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الكلمات والمحاجة والمناقشة الَّتي ذكرها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لِعُبَّاد الملائكة والأنبياء واضحة، إذا قرأها طالب العلم اتَّضح له الأمر، فإنَّكَ تُطالبه بما يُلزمه الحُجَّة.

فإذا قال: أنا لا أُشرك باللَّهِ، **فقل**: ما هو الشِّرك باللَّهِ؟ **فإن قال**: الشِّرك باللَّهِ هو عِبادةُ الأصنام؟ **فقل**: ما معنى عِبادة الأصنام؟

أتظن أنَّهم يعتقدون أنَّ تلك الأخشاب والأحجار والأبْنية هي الَّتي تخلق وترزق؟! هذا يكذِّبه القرآن، فهم مُقِرُّون بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١].

ثُمَّ تشرح له معنى عِبادة الأصنام، وأنَّها التَّعلق بها، والاستغاثة بها، والنَّذر لها، وهم يفعلون هذا عند قبور الصَّالحين، ويرجون من الملائكة والجِنِّ أن تحقق لهم ما يطلبون، فإن اعترف أنَّ ما هم عليه من التَّعلق بالأولياء والصَّالحين، والجِنّ، والملائكة هو شرك باللَّهِ، وأنَّه يكون ـ أيضًا ـ بالدُّعاء والاستغاثة، والاستجارة، وطلب البركة منهم فهو المطلوب.

وعلى كلِّ حال: أنتَ تتنزَّل معه في كلِّ شيء، كُلَّما ادَّعى دعوى تنزل معه، وتقول: فسِّرها لي، فإن قال: أنا لا أشرك باللَّه، فقل له: ما معنى الشِّرك باللَّه؟ وما عِبادةُ الأصنام؟ وما معنى عِبادةُ اللَّه؟ فإذا فسَّر ذلك بما يخالف الشَّرع، تقول: كيف تدَّعي شيئًا وأنت لا تعرفه؟! وإن فَسَّره بما يوافق الشَّرع، قل: الحمد للَّه، هذا هو المطلوب.

هذا هو الشِّرك الَّذي أنتم عليه، تتعلقون بالأموات والأحجار، وتستغيثون بها، وتنذرون لها، وتذبحون لها هذا هو الَّذي عليه المُشركون من قريش وغيرهم، ولما صاح بهم الحقّ، وأنذرهم الرَّسول ﷺ استنكروا، وعجبوا من ذلك، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: ٥] وقال سبحانه عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا

﴿قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّافات: ٣٥-٣٧] فهم يجهلون حقيقة ما هم عليه، ويجهلون الشِّرك، ويجهلون العبادة الَّتي خُلقوا لها، وإذا دعاهم داعي الحقِّ صاحوا به واستنكروا دعوته؛ لجهلهم، وإعراضهم، وتقليدهم لأسلافهم الضَّالين.

لكن من أراد اللَّهُ به الهداية يُقبلُ الحقَّ، كالصَّديق وعمر بعد مدَّة طويلة، وطلحة بن عبيد اللَّهِ، والزُّبير بن العوَّام، وغيرهم من المهاجرين، وهكذا الأنصار الَّذين قدموا على النَّبِيِّ ﷺ، ووفدوا إليه في مكة، وعلَّمهم، وفهموا الحقَّ، واستجابوا له، ورجعوا دعاةً لقومهم، وقد بايعوا النَّبِيَّ ﷺ على أن يُهاجر إليهم، وأن يبث فيهم الدِّين، وينشر بينهم الدَّعوة.

لَمَّا أراد اللَّهُ لهم الهداية تبصروا وقبلوا الحقَّ، وصاروا دعاة للحقِّ بعدما كانوا دعاة للباطل، هذا هو فضل اللَّه يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨].

فأنت يا عبد اللَّه: تضرع إلى ربِّك، وأسأله دائمًا أن يمنحك التَّوفيق، والبصيرة، وأن يفتح قفل قلبكَ؛ حتَّى ترى الحقائق وتبصر الأمور على ما هي عليه، وعليك أن تجتهد في صحبة الأخيار، والبعد عن الأشرار؛ فإنَّ صُحبة الأخيار تُعينكَ على الحقِّ وتُبصركَ بعيوبكَ، أمَّا صُحبة الأشرار، فهي تُعمي عن الحقِّ، وتدعو إلى الباطل، والجمود على عادات الأسلاف والأكابر، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّهِ.

■ مسألة:

من يتعاطى الأعمال الشِّركيَّة، ويقول: إننا لا نعبد الأولياء والصَّالحين، فقد أشرك، ولو لم يقل إننالا نعبدهم، فهم يقولون: أنَّهم يقربوننا إلى اللَّهِ زلفى، وقصدنا أننا نعبد اللَّه، ولكن نريد أن يقربونا إلى اللَّه، فهم وسائط، لا أنَّهم يستحقون العبادة فيزعمون هذا.

وإذا كان الشَّخص لا يعرف أنَّ النَّذر والذَّبح لغير اللَّه عبادة، هذا جاهل يُعلَّم، الَّذي لا يَعرفُ، يُعرَّف، مع الحكم عليه بالشِّرك، ويُعلَّم، يقول اللَّه ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٤] أبعد.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وليس وراء هذا تنديد لهم.

[شرك المتأخِّرين أعظم من شرك الأوَّلين]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قال: إنَّهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنَّما يَكفرون لَمَّا قالوا: الملائكة بنات اللَّهِ، وإنا لم نقلْ عبد القادر ابن اللَّه ولا غيره.

فالجواب: إن نسبة الولد إلى اللَّهِ كُفْرٌ مستقل، قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢] والأحد: الَّذي لا نظير له، والصَّمد: هو المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد السُّورة، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١] ففرَّق بين النوعين، وجعل كُلًا منهما كفرًا مستقلًا، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ففرَّق بين الكفرين.

والدَّليل على هذا أيضًا: أنَّ الَّذين كفروا بدعائهم اللَّات مع كونه رجلًا صالحًا لم يجعلوه ابن اللَّه، والَّذين كفروا بعبادة الجِنِّ لم يجعلوهم كذلك.

وكذلك أيضًا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب "حكم المرتد" أنَّ المسلمَ إذا زعم أنَّ لِلَّهِ ولدًا فهو مرتد، ويفرِّقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح.

وإن قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

﴿يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] فقل: هذا هو الحقُّ؛ ولكن لا يُعْبَدون، ونحن لم نذكر إلَّا عِبادتهم مع اللَّهِ وشركهم معه، وإلَّا فالواجب عليك حبّهم، واتِّباعهم، والإقرار بكرامتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلَّا أهل البدع والضلال... إلخ.

ودينُ اللَّه وسطٌ بين طرفين، وهُدَىً بين ضلالين، وحقٌّ بين باطلين، فإذا عرفْتَ أنَّ هذا الَّذي يُسميه المُشركون في زماننا الاعتقاد هو الشِّرك الَّذي أنزل فيه القرآن، وقاتل رسول اللَّه ﷺ النَّاس عليه، فاعلم أنَّ شرك الأوَّلين أخفُّ من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أنَّ الأوَّلين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثانًا مع اللَّه إلَّا في الرَّخاء، وأمَّا في الشِّدَّة فيخلصون لِلَّهِ الدِّين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزُّمَر: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمَان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة الَّتي وضَّحها اللَّهُ في كتابه، وهي: أنَّ المشركين الَّذين قاتلهم رسول اللَّهُ ﷺ يدعون اللَّهَ تعالى ويدعون غيره في الرَّخاء، وأمَّا في الضُّر والشِّدَّة فلا يدعون إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا

وشرك الأوَّلين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهمًا راسخًا؟ واللَّه المستعان.

والأمر الثاني: أنَّ الأوَّلين يدعون مع اللَّهِ أُناسًا مُقرَّبين عند اللَّهِ إمَّا أنبياء، وإمَّا أولياء، وإمَّا ملائكة، ويدعون أشجارًا أو أحجارًا مطيعة لِلَّه ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع اللَّه أناسًا من أفسق النَّاس، والَّذين يدعونهم هم الَّذين يحكون لهم الفجور من الزِّنا، والسِّرقة، وترك الصَّلاة، وغير ذلك، والَّذي يعتقد في الصَّالح، أو الَّذي لا يعصي ـ مثل الخشب والحجر ـ أهون مِمَّن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده، ويشهد به».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

فمن هذا البيان للشيخ محمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ يتضح غاية الإيضاح لمن أراد اللَّه هدايته في بيان حقيقة الشِّرك الَّذي عليه الأوَّلون، والَّذي عليه المتأخِّرون، فإنَّ الأوَّلين شركهم واضح في حال الرَّخاء، يعبدون الأنبياء والصَّالحين والملائكة والأشجار والأحجار، فإذا جاءت الشَّدائد أخلصوا لِلَّهِ العبادة، هذا حالهم كما بيَّن اللَّهُ جلَّ وعلا ذلك في محكم تنزيله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ﴾[الإسراء: ٦٧] هذه حالهم في الشَّدائد يخلصون لِلَّهِ العبادة، إذا اضطربت الأمواج، وحلت بهم الكُروب أخلصوا لِلَّهِ، فإذا جاءت السَّعة وجاء الأمن

أشركوا باللَّهِ.

أمَّا المتأخِّرون: فشركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدَّة، بل يشتد شركهم عند الشَّدائد، يلهجون بـ يا عبد القادر، يا شيخ أحمد البدوي، عكس ما كان عليه المشركون الأوَّلون.

فإن قالوا: نحن لا نعبدهم، ولا نقول: إنَّهم بنات اللَّهِ، فالمشركون الأوَّلون أشركوا لأنَّهم، قالوا: الملائكة بنات اللَّهِ، ونحن لا نقول: إنَّهم بنات اللَّه، فليس شركهم بدعائهم، وإنَّما شركهم لِقولهم: إنَّهم بنات اللَّه، إنَّهم ولد اللَّه.

فقل لهم: لا، هم قالوا هذا، وكَفَرُوا بهذا وهذا، هذا كُفْرٌ مستقل وهذا كُفْرٌ مستقل، مَنْ نسب الولد إلى اللَّهِ فهذا كُفْرٌ مستقل، ودعاؤهم والاستغاثة بهم كُفْرٌ مستقل، والمشركون جمعوا بين هذا وهذا، فإذا دعوتهم مع اللَّه واستغثتَ بهم فقد وقعتَ في الشِّرك، وإن لم تقلْ إنَّ الملائكة بنات اللَّهِ، وإن لم تقلْ: إنَّ العُزير ابن اللَّهِ، أو المسيح ابن اللَّه، فكونك تصرف العبادة بأن تستغيث به، أو تنذر له هذا من الشِّرك.

كما قال اللَّه جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ يعني: جميع النَّاس ﴿كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦] سَمَّى دعاءهم عبادة، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ

خَبِيرٍ ﴾ [فَاطِر: ١٣-١٤] وسَمَّى دعاءهم شركًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فسماهم كَفرة بدعاء الملائكة، ودعاء الأنبياء، ودعاء الصَّالحين، وإن لم يقولوا: إنَّهم بنات اللَّهِ.

فإثبات الولد لِلَّه كُفر مستقل، ودعاء الملائكة أو الأموات أو الأولياء كُفر مستقل، وسبُّ الدِّين كُفر مستقل، واستحلال ما حرَّم اللَّهُ كالزِّنا ونحوه كُفْرٌ مُستقل، وإسقاط ما أوجب اللَّه كأن يقول: الصَّلاة غير واجبة، أو الحجُّ غير واجب مع الاستطاعة، أو الزَّكاة غير واجبة كُفْرٌ مستقل.

فإن قال لكَ: ﴿إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] والملائكة من أولياء اللَّه، والصَّحابة من أولياء اللَّهِ، واللَّات من أولياء اللَّهِ.

فقل: نعم، ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] بسبب أعمالهم الصَّالحة، ولكن ليس معناه أن تدعوهم مع اللَّهِ، أو تستغيث بهم، ليس لكَ أن تسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكروب، أعمالهم وكراماتهم لهم، وليس لكَ أن تدعوهم وتشرك بهم، بل عليك أن تُحبَّهم في اللَّهِ، وأن تتأسى بهم في الخير، ولكن ليس لكَ أن تدعوهم من دون اللَّه.

كما أنَّه ليس لكَ أن تدعو الأنبياء والصَّالحين، فكونهم أولياء اللَّهِ حقٌّ، لكن هذا لا يوجب أن تدعوهم مع اللَّه، كما أنَّ الرُّسل والأنبياء حقٌّ ولكن لا يدعون مع اللَّهِ، ولا يستغاث بهم.

وبهذا يتَّضح بطلان هذه الشُّبه، وأنَّ المشركين في ضلال بعيد،

وعميً عن الحقِّ، كما قال جلَّ وعلا: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [البَقَرَة: ١٨] وقال تعالى: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٤] وقال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البَقَرَة: ٧] ضلوا عن الهدى، ولم يفهموا الحقّ مع بيان اللَّهِ له؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ [التَّوبَة: ١١٥] وأرسل الرُّسل، وأنزل الكتب تُبشر وتُنذر، ولكنهم في صدود وإعراض وبُعْدٍ عن فهم النُّصوص، والإقبال عليها، وأخذ الحقِّ والفائدة منها، بل يغلب عليهم اتِّباع أهوائهم، وتقليد أسلافهم، وتغليظ أسماعهم، نسأل اللَّه العافية.

[الإقرار بـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» وامتثال بعض الأوامر لا يدفع عن عُبَّاد القبور الشِّرك]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وإذا تحقَّقت أنَّ الَّذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ أصحّ عقولًا، وأخفُّ شركًا من هؤلاء، فاعلم أنَّ لهؤلاء شُبْهَةً يُوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ بسمعك لجوابها.

وهي أنَّهم يقولون: إنَّ الَّذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويكذِّبون الرَّسول ﷺ، ويُنكرون البعث، ويُكذِّبون القرآن، ويجعلونه سِحْرًا، ونحن نشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وَنُصدِّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلِّي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟!

والجواب: أَنَّهُ لا خلاف بين العلماء كلّهم أنَّ الرَّجل إذا صدَّق رسول اللَّهِ ﷺ في شيء، وكذَّبه في شيء أَنَّهُ كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقرَّ بالتَّوحيد، وجحد وجوب الصَّلاة، أو أقرَّ بالتَّوحيد والصَّلاة، وجحد وجوب الزَّكاة، أو أقرَّ بهذا كلّه، وجحد الصَّوم، أو أقرَّ بهذا كلّه وجحد الحجَّ، ولَمَّا لم ينقد أناس في زمن النَّبيّ ﷺ للحجِّ أنزل اللَّهُ في حقِّهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] ومن أقرَّ بهذا كلّه وجحد البعث كفر بالإجماع، وحلَّ دمه وماله كما قال جلَّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النِّساء: ١٥٠-١٥١] وإذا كان اللَّهُ قد صَرَّح في كتابه أنَّ مَن آمن ببعض، وكفر ببعض فهو الكافر حقًّا، وأنَّه يستحقُّ ما ذكر، زالت هذه الشُّبْهَةُ، وهذه هي الَّتي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الَّذي أرسل إلينا[١].

ويقال أيضًا: إذا كنت تُقِرُّ أنَّ مَنْ صَدَّق الرَّسول في كلِّ شيء وجحد وجوب الصَّلاة أنَّهُ كافر حلال الدَّم بالإجماع، وكذلك إذا أقرَّ بكل شيء إلَّا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، لا يجحد إلَّا هذا، وصَدَّق بذلك كلّه، ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

ومعلوم أنَّ التَّوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النَّبِيّ ﷺ، وهو أعظم من الصَّلاة، والزَّكاة، والصَّوم، والحجِّ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرَّسول، وإذا جحد التَّوحيد الَّذي هو دين الرُّسل كلّهم لا يكفر؟! سبحان اللَّه ما أعجب هذا الجهل.

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول اللَّه ﷺ قاتلوا بني حنيفة[٢] وقد أسلموا مع النَّبِيّ ﷺ وهم يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويصلون، ويؤذنون.

فإن قال: إنَّهم يقولون: إنَّ مُسيلمةَ نبيٌّ، قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان مَنْ رفع رَجُلًا إلى رتبة النَّبِيّ ﷺ كَفَرَ، وحلَّ ماله

(١) ينظر: «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٤٢٦).
(٢) في معركة اليمامة.

ودمه، ولم تنفعه الشَّهادتان، ولا الصَّلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف[١] أو صحابيًّا أو نبيًّا إلى مرتبة جَبَّار السَّماوات والأرض؟! سبحان اللَّهِ ما أعظم شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٥٩].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يذكر شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ هؤلاء المشركين عُبَّاد القبور، والأولياء لهم شُبهة يُوردونها على مَنْ كفّرهم، واستحل دماءهم وأموالهم، وأنكر عليهم عبادتهم غير اللَّه، وتوجههم إلى القبور والأولياء ودعائهم إيَّاهم، ويقولون: إنَّكم شبهتمونا بكُفَّار قريش وغيرهم، واستحللتم دماءنا وأموالنا، ونحن نشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ونُصلِّي، ونَصوم، ونُؤمن بالبعث، كيف تجمعونا بأولئك؟! وشبههم تخفى على كثير من النَّاس.

فيقال لهم: نعم، أنتم تشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لكن قد دلَّ الشَّرع على أنَّ مَنْ جَحَدَ شيئًا ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ كَفَر، ولو فعل كلّ شيء ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ، فإذا أقرَّ إنسان بالتَّوحيد وجحد وجوب الصَّلاة، ألا يكفر؟ سوف **يقول**: يكفر، وإذا جحد وجوب الزَّكاة، أو جحد وجوب صوم رمضان، أو

(١) أسماءُ أُناس كفرة طواغيت، شمسان الَّذي يظهر من رسائل إمام الدَّعوة رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه لا يبعد عن العارض، وله أَولاد يعتقد فيهم.وأمَّا يوسف فقد كان على قبره وثن يعتقد فيه، ويظهر أَن قبره في الكويت أَو الأحساء كما يفهم من بعض رسائل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ينظر: رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لعبد الله بن سحيم في تاريخ ابن غنام (ص٢١٠، ٣٣٣، ٣٤٣ مطبعة المدني) و«فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ» (١/ ١١٧ ف٢١٩).

جحد وجوب الحجِّ مع الاستطاعة، أو لم يؤمن بالبعث والنُّشور يكفر، وإن كان يصلِّي ويصوم، فإذا كان هذا الأمر معلومًا لديكم، وأن من ترك هذه الأشياء جاحدًا لها كفر، فكيف بمن جحد الشَّهادتين ونفى معناهما، وعبد مع اللَّهِ غيره؟!

وإذا كان من جعل مسيلمة نبيًّا كمُحَمَّدٍ يكفر عند الجميع، وقاتلهم الصَّحابة لذلك، فكيف بمن رفع الإنسان في رتبة الرَّبِّ ﷻ؟! فإذا كان من جعله فوق رتبة النَّبِيّ يكفر؛ لأنَّه جعله نبيًّا، ومحمّد خاتم النَّبِيِّين، فكيف بالَّذي يرفع الشخص كشمسان أو يوسف أو ابن علوان[1] أو غيرهم إلى مرتبة اللَّه ﷻ فيدعوه، ويستغيث به، وينذر له، ويذبح، ألا يكون أولى بالكفر ممّن رفع مسيلمة إلى رتبة النَّبِيّ ﷺ؟!

وهكذا من عَبَدَ الملائكة أو الجِنَّ واستغاث بهم فقد جعلهم في منزلة اللَّه، وعَبَدَهم مع اللَّه فيكون كافرًا وإن صلَّى وصام وحَجَّ، وإن أتى بكلِّ الشَّعائر، كما أنَّه لو صلَّى وصام وفعل كل شيء؛ ولكنه أنكر نبوة محمَّد ﷺ، أو أنكر أنَّه خاتم النَّبِيِّين كفر، ولم تنفعه هذه العبادات الَّتي أقرَّ بها، وبهذا يتبيَّن أنَّ من أتى بالأمور المشروعة، وأقرَّ بها، لكنه أتى بناقض بطلت تلك الأمور، إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام، كمن جحد وجوب الصَّلاة، أو الزَّكاة، أو صوم رمضان، أو الحجّ، أو البعث والنشور، يكفر عند الجميع.

فإذا جحد التَّوحيد ولم يقر به، وأشرك مع اللَّه في العبادة غيره

(١) ابن علوان، له قبر باليمن أقبل عليه العامة في نوائب الزمان، واستغاث به منهم كل لهفان، فهم يلجؤون به في كل وقت وأوان ويسميه غوغاء هم منجي الغارقين، كما حكاه بعض السامعين، وأغلب أهل البر منهم والبحر يطربون عند سماع ذكره، ويستغيثون به. **ينظر**: الصارم المنكي لابن عبد الهادي (١/ ١٩٥).

فهو أولى وأولى بأن يكون كافرًا، ولا تنفعه تلك العبادات الَّتي أقرَّ بها وفعلها.

كما أنَّ الصَّحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يصلون، ويصومون، ويشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لكنهم صَدَّقوا مسيلمة أنَّهُ نبيّ، فعند هذا كفروا، وهكذا مَنْ صدَّق طليحة الأسدي بأنّه نبي، أو الأسود العنسي في اليمن، أو المختار بن أبي عبيد الثَّقفي لما ادَّعوا النُّبوة كفروا، وقاتلهم المسلمون[(١)].

وبهذا يُعلم أنَّه من أتى بناقض من نواقض الإسلام بطلت أعماله كلها، كما قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النِّسَاء: ١٥٠] قال اللَّهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥١] لَمَّا فرَّقوا أخبر أنَّهم هم الكافرون حقًّا؛ لأنَّهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض، قال: نؤمن مثلًا بمحمِّد ﷺ، ولكن لا نؤمن بالبعث والنشور، أو لا نؤمن بالجنَّة، أو أن هناك نار، أو لا نؤمن بوجوب الصَّلاة، أو الزَّكاة، أو صوم رمضان، كلّ هذا رِدَّةٌ عن الإسلام وكفر به، ولو فعلوا ما سوى ذلك من أمور الإسلام، الناقض الواحد يكفي لبطلان ما هم عليه.

وهكذا لو أقرُّوا بكلِّ شيء؛ ولكن سَبُّوا اللَّه، أو الرَّسول، أو طعنوا في الدِّين، أو استهزؤوا به كفروا، ولم تنفعهم تلك العبادات

---

(١) ينظر: لقصة طليحة الأسدي: «جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى» لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس (١/ ٣٣٩) ولأسود العنسي، المصدر السابق (١/ ١٠، ٣٣، ٣٣٩) ولمختار بن أبي عبيد. **ينظر**: «مختصر سيرة الرَّسُول ﷺ» للشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب (ص٦٦).

الَّتي يقومون بها لما أتوا بالناقض؛ للآية الكريمة: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النِّسَاء: ١٥٠] فهذا الَّذي حصل من الإيمان بالبعض، والكفر بالبعض هو الَّذي كَفَّرهم، وأبطل أعمالهم.

ومن هذا: قول اللَّه جلَّ وعلا: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فكفَّرهم باستهزائهم، وإن كانوا يصلون ويصومون، وهكذا قوله ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[(١)] تبديل الدِّين بالإتيان بناقض من نواقض الإسلام، ولهذا عقد العلماء في جميع المذاهب "باب حكم المرتد" قالوا: وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، يعني: بناقض من النَّواقض.

■ مسألة: ما يعذر فيه أهل البادية:

يعذر الأعرابي من أهل البادية وغير الأعرابي بالشيء الَّذي يمكن جهله به مثل بعض أركان الصَّلاة وواجبات الزَّكاة، وبعض المفطرات في الصِّيام، ومثل أعمال الحجِّ وواجبات العمرة، وما أشبه ذلك ممَّا قد يلتبس عليه حكمه، أمَّا إذا جحد الصَّلاة، لا يصلي أو جحد الصِّيام، لا يصوم، لا يعذر؛ لأنَّ هذا معلوم من الدِّين بالضرورة، وكل مسلم يعرف هذا، وإنَّما قد يخفى عليه بعض الأموركأعمال الحجِّ مثلًا؛ لكن لا يخفى عليه أنَّه مشروع وواجب، فلا يعذر بهذا.

كما لا يُعذر من وصلته كُتُبٌ محرَّفة وبدعية، يعذر بأشياء قد تخفى عليه أحكامها. قد يعذر العاميّ الَّذي لا يفهم، ولا يعرف الغسل من الجنابة مثلًا، وخاصة النِّساء، ولكن يُعَلَّم ولا يكفر.

---

(١) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما البخاري، برقم (٣٠١٧).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويقال أيضًا: الَّذين حَرَّقهم عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)] كلّهم يَدَّعون الإسلام، وهم من أصحاب عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتعلموا العلم من الصَّحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسف، وشمسان، وأمثالهما، فكيف أجمع الصَّحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أنَّ الصَّحابة، يكفرون المسلمين؟! أم تظنون أنَّ الاعتقاد في تاج[(٢)] وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكفِّر؟!»

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يبيَّن بهذا المثال جهل الجاهلين في تكفير عُبَّاد القبور والأولياء؛ لأنَّ جماعة في عصره كانوا ينسبون إلى أنَّهم مسلمون وينسبون إلى العلم، وهم مع هذا يعبدون جماعة من الكفرة كتاج، ويوسف، وشمسان، ويغالون فيهم ويدعون فيهم نوعًا من الإلهية، ويقولون: هذا لا يضر؛ لأنَّهم صالحون، والتِّبرك بالصَّالحين ودعاؤهم لا يضر.

فيبيَّن لهم الشيَّخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ هذا الاعتقاد هو الكفر الأكبر، فإذا كان اعتقاد الجاهلية في اللَّات والعُزى ومَناة، والملائكة والأنبياء

---

(١) أخرجه عن عكرمة أن عليًّا... البخاري برقم (٣٠١٧).

(٢) تاج هو أحد الطواغيت من أَهل الخرج تصرف إليه النذور، ويدعى ويعتقد فيه النفع والضر، وكان يأْتي إلى أَهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور، وقد كان يخافه كثير من النَّاس الَّذين يعتقدون فيه، وله أَعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكروه، بل يُدعى فيهم الدَّعاوي الكاذبة، وتنسب إليهم الحكايات القبيحة، ومما ينسب إلى تاج أَنَّه أَعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده. **ينظر**: رسالة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب؛ لعبدالله بن سحيم في «تاريخ ابن غنام» (ص ٣٤٣).

يُكفِّرهم، كذلك هؤلاء اعتقادهم في يوسف، وشمسان، وتاج، وفلان، وفلان يُكفِّرهم، ولا فرق في ذلك؛ لأنَّ صرف العبادة لغير اللَّه شرك باللَّه، سواء كان المعبود صنمًا أو وثنًا أو وليًّا أو جنيًّا أو ملكًا، أو غير ذلك، العلة: صرف العبادة لغير اللَّه، فمتى صُرِفَتْ العبادة لغير اللَّه كائنًا مَنْ كان فهو الشِّرك الأكبر، كما قال جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥] وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المَائدة: ٧٢] وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

فدلَّ على أنَّ الشِّرك لا يغفر، وأنَّه مُحبط للأعمال، والجنَّة على صاحبه حرام، سواء كان ذلك المعبود مع اللَّه جنيًّا أو وليًّا أو ملكًا أو شمسًا أو قمرًا أو صنمًا أو شجرةً، أو غير ذلك، الحكم عام؛ لأنَّ كلّ ذلك باطل، كما أطلق عليه كتاب اللَّه ﷻ.

يقول اللَّه سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحَجّ: ٦٢] ويقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] ويقول سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] ويقول جلَّ وعلا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمَّد: ١٩] والنَّبيُّ ﷺ قال يوم بُعِثَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاس، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**»(١).

(١) أخرجه عن ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه وكان جاهليًّا فأسلم، الإمام أحمد (١/ ٤٩٢ برقم ١٦٠٦٦، و٤/ ٣٤١ برقم ١٩٠٢٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦١ برقم ٣٨، ٣٩) كما أخرجه عن طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه ابن خزيمة (١/ ٨٢ برقم ١٥٩).

هكذا أمرهم أن يقولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فإذا قالوها عن صدق هدمت الشِّرك، وصاروا مسلمين بذلك، أمَّا من قالها وهو يَعبد غير اللَّه فلا تنفعه كالمنافقين، واليهود، وغيرهم ممن يقولها وهو يَعبد غير اللَّه.

هكذا الَّذين غلوا في علي وعَبَدُوهُ من دون اللَّهِ كانوا مشركين، وجدوا في عهد الصَّحابة يقولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يقولون: إنا مسلمون؛ ولهذا لَمَّا غلوا فيه، وقالوا: إنَّه اللَّه ودعوه من دون اللَّه، وجعلوه إلهًا مع اللَّه كفروا، وقاتلهم عليٌّ نفسُهُ، وأجمع الصَّحابة جميعًا على قتلهم، بل لم يقتلهم بالسِّيف ﷺ، وإنَّما خَدَّ لهم الأخاديد، وهي الحفر في الأرض، ثُمَّ ألقاهم فيها، وأحرقهم بالنَّار؛ من شدَّة غضبه عليهم ﷺ.

قال ابن عباس ﷺ: «**لَوْ أَنَّهُ قَتَلَهُم بِالسَّيْفِ، لَكَانَ أَحَبّ إِلَيَّ؛ لِأَنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّه**»[(١)] لكن هو من شدَّة غضبه عليهم أحرقهم بالنَّار لعظم كفرهم، حتَّى جعلوه اللَّه، قالوا: «أنت هو» يعني: أنت اللَّه، يدعونه، ويغلون فيه، يزعمون أنَّه إِلَهُ، يُعْبَد، كما تفعل الرافضة الآن مع علي، ومع الحسن والحسين يدعونهم، ويستغيثون بهم، وينذرون لهم، وهذا الشِّرك الأكبر، فالرافضة ورثة الغلاة من الإمامية وغيرهم مِمَّن يغلون في عليٍّ وأهل البيت، كما يأتي في بني عبيد بن القداح.

المقصود: أنَّ الغلو في مَلَكٍ، أو نبيٍّ، أو صحابيٍّ، كعليٍّ، أو جنِّيٍّ أو شجرة، أو حجر، أو صنم كلّه شرك باللَّه، إذا دعاه من دون اللَّه استغاث به، نذر له، ذبح له، هذا هو الشِّرك الأكبر.

---

(١) تقدَّم تخريجه قريبًا من حديث ابن عباس ﷺ في (ص٧٨).

يقول الشَّيخ محمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ: أتظنون أنَّ الغلو في تاج وشمسان وأمثالهم لا يضر، والغلو في عليٍّ يضر؟! هذا جهل عظيم، لو كان الغلو ما يضر في تاج ما ضر في عليٍّ من باب أولى؛ عليٌّ أفضل من تاج وشمسان، ومع هذا الغلو فيه جعل أصحابه مشركين كُفَّار يستحقون القتل، كالَّذين يغالون في تاج وشمسان ويوسف، وفي عبد القادر الجيلاني، أو الحسين، أو الحسن، أو جعفر بن محمَّد من باب أولى، أن يكونوا كُفَّارًا يستحقوا القتل.

وهكذا من غلا في النَّبِيِّ ﷺ أو الأنبياء وعبدهم من دون اللَّه وهم أفضل من عليٍّ يَكْفُر، فمن عَبَدَ النَّبِيَّ محمَّد ﷺ، أو إدريس، أو موسى، أو هارون، أو عيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فقد كفر، كالنَّصارى عبدوا عيسى مع اللَّهِ، وصاروا من أكفر النَّاس، وهكذا اليهود عبدوا عُزيرًا وصاروا من أكفر النَّاس.

فالواجب على طالب العلم أن ينتبه، وأنْ يعلم أنَّ صرف العبادة لغير اللَّه شركٌ وكفرٌ باللَّهِ مطلقًا، سواء كانت العبادة مصروفة لنَبِيٍّ، أو صالح، أو جِنِّيٍّ، أو إنسيٍّ، أو شجرٍ، أو حجرٍ، كلّه شرك باللَّه، لا بد أن تكون العبادة لِلَّهِ وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحَجّ: ٦٢] هكذا يقول اللَّهُ جلَّ وعلا، ويقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النِّسَاء: ٣٦] ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

■ مسائل: حول الرَّوافض:

أ/ الاختلاف بين أهل السُّنَّة والرَّافضة هو اختلاف في العقيدة، فهم يعتقدون في أهل البيت، ويدعونهم مع اللَّه، ويستغيثون بهم، وينذرون لهم، مثل ما كان يفعله المشركون من كُفَّار قريش مع

اللَّات والعُزى، والأنبياء والصَّالحين.

والَّذي يقول: الخلاف في الفروع هذا شخص جاهل بعقيدتهم يُبَيَّن ويوضح له عقيدتهم فهم يغلون في أهل البيت، وبالأخص عليٌّ والحسن والحسين وفاطمة بنت النَّبِيّ ﷺ ولاسيما الحسن والحسين؛ لأنَّهم يزعمون أنَّهم ينفعون فيستغيثون بهم أن يخلصوهم من عذاب اللَّه؛ ولهذا يلهجون: يا على، يا على، يا حسن، يا حسين، يا فاطمة، مثلما نقول: يا اللَّه يا للَّه.

وبعض من غلاتهم يعتقد أنَّ عليًّا هو النَّبِيُّ، وأنَّ جبريل خان الرِّسالة، ويسمونه مخون، وبعضهم يغلون فيه أكثر، ويعتقدون أنَّه ينفعهم إذا دعوه، وإذا استغاثوا به أغاثهم، ونفَّس كربتهم[(١)].

ب/ الدِّفاع عن الرَّوافض:

الَّذي يُدافع عن الرَّوافض جاهلًا بمذهبهم، يُوضح له عقائدهم، ويُعلَّم أنَّ نُصحهم ليس تعصبًا، فيبيَّن له ما هي عقيدتهم، وأنَّهم يغلون في على ويستغيثون بهوبأهل البيت وهذه عقيدتهم، فهم ككفار قريش، كانوا يستغيثون باللَّات والعُزى ومناة، وهبل، والأصنام الَّتي يصرفون لها العبادة من دعاء واستغاثة.

ج/ العوام:

عوام الشَّيعة والمتصوفة وغير هم، تبع لمراجعهم إذا كانوا يعتقدون ما يعتقدونه فهم تبع لهم في الحكم.

---

(١) وغلاة علاتهم الَّذين أحرقهم ﷺ يزعمون أنَّه اللَّهُ تعالى اللَّه عمَّا يقولون علوًا كبيرًا.

د/ التعامل مع تاجر رافضي:

التعامل مع الرَّوافض هذا محل نظر، فالشراء من الكَفرة جائز والرَّسول ﷺ: «**اشْتَرَى مِن اليَهُودِي طَعَامًا لأَهْلِهِ**»[(١)] لكن يُبَيَّن حالهم حتَّى لا يتخذونهم رفقاء وأصدقاء وأصحاب، ويشتري منهم إذا دعت الحاجة لا بأس، لكن لا يواليهم، ويحذر من محبتهم والتساهل معهم، ويُبيَّن للنَّاس كفرهم وضلالهم، وسوء أعمالهم وأنَّهم يسبون الصَّحابة وخاصة الصِّديق وعمر، ويستغيثون بعليٍّ وبآل البيت، وهذا شرك أكبر، وسب الصَّحابة كفر مستقل؛ لأنَّ معنى ذلك تخوينهم.

و/ نُصح رافضي:

لو نصح رافضي في العمل ولم يستجب، وجاء وقت الصَّلاة، هل يؤمر بالصَّلاة أم يترك، يؤمر بالصَّلاة؛ لأنَّه يَدَّعي أنَّه مسلم، ويجب أن يبغض في اللَّه، ويعادى في اللَّه، ويؤمر، ويقال له: صلِّ.

(١) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما الإمام أحمد (١/ ٣٦١ برقم ٣٤٠٩).

[تكفير السَّلف للعبيديين مع أنَّهم يشهدون الشَّهادتين]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويقال أيضًا: بنو عبيد القدَّاح الَّذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العبَّاس، كلهم يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويدَّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلمَّا أظهروا مخالفة الشَّريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأنَّ بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون، حتَّى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأوَّلون لم يكفروا إلَّا لأنَّهم جمعوا بين الشِّرك وتكذيب الرَّسول ﷺ، والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الَّذي ذكر العلماء في كل مذهب "باب حكم المرتد"، وهو المسلم الَّذي يكفر بعد إسلامه؟! ثُمَّ ذكروا أنواعًا كثيرة، كل نوع منها يكفِّر، ويُحِلُّ دم الرَّجل وماله، حتَّى أنَّهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل: كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللَّعب».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا البحث رَدٌّ على عُبَّاد القبور والأولياء في زمن المؤلف كما تقدَّم، فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يقيم الحجج عليهم أنَّ الإنسان متى أتى بمكفِّرٍ كفر، ولو شهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه؛ لأنَّهم

يحتجون عليه، يقولون: إنَّ كُفَّارَ قريش وأشباههم لا يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ونحن نشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ونصلي، ونصوم، تحتج علينا بالآيات الَّتي نزلت في كفار قريش الَّذين يعبدون الأصنام؛ وَلَا يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، بل كذبوه، وقاتلوه، فلسنا مثلهم!

فالمؤلف بَيَّن ـ كما تقدَّم ـ الحجج الكثيرة الَّتي تُبيِّن كفرهم وإن شهدوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كما أن المنافقين يشهدوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويصلون، ويصومون، ومع هذا هم أكفر النَّاس، وفي الدَّرك الأسفل من النَّار؛ لأنَّهم قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فهم يقولون: أشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وهم في الباطن يُكذِّبون ذلك.

وهكذا كَفَّر المُسلمون اليهود وهم يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كذلك مَنْ قالها مِنْ المُشركين من الَّذين عَبدوا عليًّا ﷺ، واستغاثوا به، ومن عُبَّاد الشَّمس والقمر ونحو ذلك؛ لأنَّهم جعلوا آلهة مع اللَّهِ، وإنْ صلوا وصاموا، فكذلك بنو عبيد القدَّاح[1] يُصلون ويُصومون، فلما أظهروا الرَّفض والغلو في أهل البيت، ثُمَّ ادّعى بعضهم أنَّه إِلَهٌ، وأنَّه يُعبد من دون اللَّهِ كَفَّرهم المُسلمون، وقاتلوهم؛ لإظهارهم الكفر والضلال، ولم تنفعهم شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه؛ لكفرهم وضلالهم بغلوهم في أهل البيت، أو بادِّعاء رؤسائهم الألوهية، وأنَّهم يُعبدون من دون اللَّهِ، واتخذوا لنفوسهم مقام الألوهية، فكفَّرهم المُسلمون، وقاتلوهم؛ لكفرهم، ولم تنفعهم شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، لمَّا أتوا بالمُكفِّرات.

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية العدد (٨١ ص٣٧٢-٣٧٦).

والأئمة في جميع المذاهب ـ الحنابلة، والشافعية، والمالكية، والحنفية ـ عقدوا بابًا سمَّوه "باب حكم المرتد" وهو باب معروف، أجمع عليه المُسلمون؛ عملًا بقول النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١) وتأمل قول معاذ بن جبل رضي الله عنه فيمن بَدَّل دينه: «قضاء اللَّه ورسوله» لَمَّا أسلم يهودي ثم ارتد، قدم معاذ على أبي موسى وهو موجود عندهم يستتيبونه قال معاذ: «**لَا أَجْلِسُ حَتَّى يُقْتَلَ؛ قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**»(٢)؛ لأنَّه بدل دينه.

بيَّنوا رحمهم اللَّه فيه أَنَّهُ لو أتى بِمُكَفِّرٍ يَكْفُر ولو صلى وصام، ولو شهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فمثلًا: إنسان يسبُّ اللَّهَ ورَسُوله يَكفر ولو صلَّى وصام، ولو قال: الصوم ليس واجبًا يَكفر، ولو قال: الصَّلاة ليست بواجبة يَكفر، أو قال: الزِّنا حلال يَكفر، أو قال: الخمر حلال يكفر، أو قال: إنَّ نكاح الأم حلال، ونكاح الأخت حلال، ونكاح البنت حلال، ومن يطأ على المصحف برجله، ويلطخه بالبول إهانة له يَكفر بذلك، ولو شهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، كذلك قالوا: إذا تعلَّق بغير اللَّه، وَعَبَدَ الشَّمس، أو القمر، أو الصَّنم، أو عليًّا، أو الحسين، أو فاطمة، أو عبد القادر، أو البدوي، أو غيره كَفَرَ ولو صلَّى وصام، ولو شهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه.

المقصود: أنَّ الإنسانَ إذا أتى بِمُكفِّر بطلت أعماله؛ لقوله في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الزُّمَر: ٦٥] فأعمالهم لا تنفع مع الشِّرك، بَلْ

(١) سبق تخريجه في (ص ٧٧).

(٢) أخرجه عن أبي موسى رضي الله عنه البخاري، برقم (٦٩٢٣) ومسلم، برقم (١٨٢٤).

تكون هباءً منثورًا قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرقان: ٢٣].

والإنسان إذا أتى بِمُكَفِّر قوليٍّ أو فعليٍّ أو قلبيٍّ ـ من شك ونحوه ـ كفر، حتَّى لو قال: أنا أشهد أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ، لكن عندي شك هل الجنَّة حقٌّ أو ليس بحقٍّ يكفر، أو قال: أنا عندي شك النَّار حقٌّ أو ليس بحقٍّ يكفر، أو شك في أنَّ اللَّهَ في السَّماء أو ليس في السَّماءِ، أو فوق العرش أو ليس فوق العرش يَكْفُر؛ لأنَّه مُكذِّبٌ لِلَّهِ ولرسوله، أو شك في نبوة مُحَمَّدٍ، قال: ما أدري هو نبي أو ليس بنبي يكفر، أو شك في نبوة أحد من الأنبياء الَّذين ذكرهم اللَّه في كتابه، قال: أشك في نبوتهم كفر.

أو قال: أختي، أو عمتي، أو خالتي حلال يجوز لي أنْ أتزوجها كَفَرَ، فمن أتى بناقض من نواقض الإسلام كَفَرَ، وبطلتْ أعماله كلّها، من صلاة وصوم وحجّ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعَام: ٨٨] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المَائدة: ٥] وهذا محل إجماع بين المسلمين، ولكن أهل الشِّرك لا يفقهون، عُبَّاد القبور والأولياء في عمى وضلال، نسأل اللّه العافية.

هذه الأشياء بَيَّنَها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في زمانه للَّذين اعترضوا عليه، وقالوا: إِنَّ مُحَمَّد بن عبدالوهَّاب يُكَفِّر المسلمين، وأنَّه جاء بدين جديد، وهذا من جهلهم وضلالهم، وقلة بصيرتهم، لم يأتِ بدين جديد، ولكن أَتَ بما قاله اللَّهُ ورسولُهُ، وبما سار عليه الصَّحابة والمسلمون، رحمه الله وجزاه اللَّهُ خيرًا.

■ مسألة: فيمن ذكر كلمة مازحًا:

لو قال كلمة بلسانه دون أن يعتقدها بقلبه، قالها وهو يضحك مثل أن يقول: محمَّد كذَّاب أو لعَّاب، ولو لم يعتقدها كفر، أو قال: إنَّ اللَّه ليس فِي السَّماء، ولو كان يلعب، أو سبَّ الرَّسول كفر، ومن سب الدِّين كفر، ومن سبَّ اللَّه كفر.

■ مسألة: في الاستهزاء:

بعض النَّاس يستهزءون بما يسمونه (مُطوع) إذا نهاهم عن منكر، قالوا: كل مطوع شرير، إنْ كان يستهزئ به لأجل حاله، أو لبسه وثيابه أو مظهره، أو مشيته أو بصورته أو بدابته، فهذه معصية، أمَّا إن كان يستهزئ، ويستنقص، ويسب الدِّين فهذا كفر.

أمَّا قوله: كل مطوع على شر هذا فِيه تفصيل ينظر قصده؟ فإن أراد أنَّهم أشرار لدينهم كفر، وإنْ أراد أنَّهم لا يتثبتون، ولا يدعون النَّاس على بصيرة، لا يكفر، فهي كلمات محتملة.

والمطوع: هو المطيع لِلَّهِ، فمن طوَّع نفسه لِلَّهِ فهو المُطيع لِلَّهِ، وعند العامة، أن المطوع دون العالم وفوق العامي، وهو عندهم لقب شرف وليس استهزاء.

أمَّا من استهزأ بشيء من شرائع الإسلام، ثُمَّ تاب لا يلزمه أنْ ينطق بالشَّهادتين، فالتَّوبة تجب ما قبلها، يكفِيه أنَّه أقرَّ بخطئه وتاب، وإن كان يرى بعض الفقهاء أنَّه ينطق بالشَّهادتين، وهذا أقرَّ بَّما أنكره، فإذا قال: الصَّلاة ليست واجبةً، أو قال: الصَّوم ليس واجبًا، ثُمَّ تاب من ذلك، تاب اللَّه عليه ويكفِي هذا.

■ مسألة: فيمن لم يأتِ بشروط لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ السبعة:

إذا كان يؤمن بمعناها، ويعلم أن لا معبود بحقٍّ إِلَّا اللَّه، صح منه ذلك، ولو لم يعرف الشروط، فالعاميُّ قد لا يعرف الشروط المُهِمُّ أنَّه يؤمن باللَّه وحده، وأنَّه لا معبود بحقٍّ إِلَّا اللَّه، وأنَّ كل معبودٍ ما سواه باطل.

■ مسألة:

الَّذي يصف الشيخ محمَّد والسعوديون بأنَّهم وهابيون متعصبون، جوابه نعم نحن مسلمون وهابيون غير متعصبين، وأنت جاهل تَعلَّم حتَّى تعرف الحقّ، والحقُّ لا يعرف بالرِّجال، ولكن بالحقِّ يعرف الرِّجال، أدرس الأدلَّة، وتأملها فهي المحور وعليها المدار، واتِّباع محمَّد ﷺ ليسوا متعصبين، المتعصبون هم المقلدة الَّذي يتبع أهل الباطل في باطلهم؛ لأنَّهم شيوخه أو لأنَّهم آباؤه وأجداده أو أصحابه، فيتبعهم ويقلدهم تعظيمًا لهم.

■ مسألة: في كفرمنكر الصِّفات:

نفي الصِّفات فِيه تفصيل، تُقام عليه الحُجَّة، فإنَّه قد يجهل بعض الصِّفات، يُبَيَّن له ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، فإذا جحدها بعد البيان يكفر، إذا جحد الرَّحمن أو العزيز أو الحكيم أو القدوس أو الملك كفر، وإنْ كان عاميًّا يُبَيَّن له ما جاء به الكتاب العزيز والسُّنَّة الصَّحيحة.

وإذا كان يأول الصِّفات، التأويل يختلف مثل الأشاعرة وغيرهم، والتأويل فِيه شبهة بخلاف النفي، المعتزلة والجهمية هم كُفَّار؛ لأنَّهم أنكروا الصِّفات بالكليَّة، وأنكروا الأسماء.

[مَنْ أتى مُكفرًا كَفَرَ]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويقال أيضًا: الَّذين قال اللَّهُ فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] أَمَا سمعتَ أنَّ اللَّهَ كَفَّرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول اللَّه ﷺ يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكون، ويحجون، ويوحِّدون؟! وكذلك الَّذين قال اللَّهُ فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فهؤلاء الَّذين صَرَّح اللَّهُ أنَّهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول اللَّه ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنَّهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشُّبْهَةَ، وهي قولهم: تُكَفِّرُون من المسلمين أُنَاسًا يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويصلون، ويصومون، ثُمَّ تأمل جوابها، فإنَّه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدَّليل على ذلك أيضًا: ما حكى اللَّه تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنَّهم قالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقول ناس من الصَّحابة: «اجعل لنا ذات أنواط» فحلف رسول اللَّه ﷺ أنَّ هذا نظير قول بني إسرائيل: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨][(١)].

(١) أخرجه عن أبي واقد اللَّيثي رضي الله عنه الترمذي برقم (٢١٨٠) وقال: «حسن صحيح».

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنَّهم يقولون: إنَّ بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الَّذين قالوا: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا.

فالجواب: أن نقول: إنَّ بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الَّذين سألوا النَّبِيّ ﷺ لم يفعلوه، ولا خلاف في أنَّ بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أنَّ الَّذين نهاهم النَّبِيّ ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تُفيد أنَّ المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشِّرك لا يدري عنها، فتفيد التَّعلم والتَّحُّرز، ومعرفة أنَّ قول الجاهل: "التَّوحيد فهمناه" أنَّ هذا من أكبر الجهل، ومكائد الشَّيطان.

وتفيد أيضًا أنَّ المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فُنبِّه على ذلك فتاب من ساعته أنَّه لا يَكفر، كما فعل بنو إسرائيل، والَّذين سألوا النَّبِيّ ﷺ.

وتفيد أيضًا أنَّه لو لم يكفر، فإنَّه يغلَّظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا، كما فعل رسول اللَّه ﷺ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُبيِّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ المسلم إذا أتى ما يوجب الرِّدَّةَ ارتد، وإن قول الجهلة: «يكفِّرون المسلمين وهم أناس يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويصلون ويصومون» كلام غير سديد، وأن هذا من أكبر الجهل، فإن المسلم إذا فعل ما يوجب الرِّدَّةَ ارتد ولو صلى وصام، كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٧٤].

هكذا الَّذين قال اللَّهُ فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فهم مع النَّبيّ ﷺ ومع هذا قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم، فالإنسان إذا أتى بالكفر وإن كان من أَعبدِ النَّاس فإنَّه ينقله من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر؛ ولهذا عقد الأئمة جميعًا "باب حكم المرتد" وهو المسلم يكفر بعد إسلامه.

وهكذا بني إسرائيل لَمَّا قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وكذلك بعض المسلمين، وهم في طريقهم إلى حنين، قالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ[(١)] كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[(٢)] قالوا ذلك ظنًّا منهم أنَّ هذا جائز، ولا بأس به، فنبَّههم النّبيُّ ﷺ على أنَّ هذا غلطٌ عظيمٌ، فلو أنَّهم خالفوا واتخذوا ذات أنواط لكفروا، وهكذا بنو إسرائيل لو عبدوا الآلهة ولم ينصاعوا للحقِّ لكفروا.

والحاصل: أنَّ هذه القصص فيها أوضح البيان، وأبين الحُجَّة على كفر مَنْ أتى مُكفِّرًا، ولكن الَّذي يأتي الشيء يظنه حقًّا ثُمَّ ينبَّه لا يكفر بذلك؛ لجهله، وإذا كان المسلم لا يجهل ذلك عليه التوبة، والرّجوع إلى اللَّه جلَّ وعلا، والإنابة ومن تاب تاب اللَّه عليه.

---

(١) ذات أنواط: هي اسم لشجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب النون مع الواو مادة: [نوط] [ص٩٤٦].

(٢) سبق تخريجه في (ص٩٠).

فالإنسان قد يقع في الكفر لأسباب كثيرة، منها: الجهل، ومنها: الهوى، ومنها: الطمع في الدُّنيا، ومنها: طاعة من يرى طاعته، فإذا نُبِّه وتاب إلى اللَّهِ صحت التَّوبة، ولو كانت من أعظم الذُّنوب؛ إذ كل ذنب له توبة، وأعظم الذُّنوب الشِّرك، ومن تاب تاب اللَّهُ عليه.

قد كان جمع كثير من صناديد قريش على الكفر ثُمَّ هداهم اللَّه فصاروا خير النَّاس وأفضلهم بعدما أسلموا، وهداهم اللَّه جلَّ وعلا، فمنهم من أسلم بعد الحديبية، ومنهم: من أسلم بعد الفتح، بعد الكفر العظيم، وقتالِ النَّبِيّ ﷺ والصَّحابة، منهم: أبو سفيان قائد الكفار يوم أحد، والخندق، ومع هذا أسلم، وصار من خير النَّاس بعد ذلك رضي الله عنه، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وغيرهم.

فالإنسان: إذا تاب توبة صادقة تاب اللَّه عليه، وإذا أتى الكفر جهلًا يُبَيِّن له، ولم يكَفِّرْ، كما فعل الَّذين قالوا: «**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ**» والَّذين قالوا: ﴿اجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] يحسبون أنَّ هذا جائز، لا بأس به فُنبِّهوا فتابوا، ورجعوا، ولم يفعلوا ما نهاهم اللَّه عنه.

والخلاصة: أنَّ المسلم المُصلِّي الصَّائم إذا أتى بمكفِّرٍ وهو ينتسب إلى الإسلام لم يمتنع تكفيره؛ لكونه مصلِّي منتسبًا للإسلام، بل يكون بالكفر الجديد مرتدًا، وتبطل أعماله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وجاء في الحديث: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[(١)] وهذا الباب معروف بـ"باب

(١) سبق تخريجه في (ص ٧٧).

حكم المرتد" وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، فلو كان من أعبد النَّاس ثُمَّ سبَّ اللّه، أو رسوله، أو اتخذ الآلهة من دونه يدعوهم، ويستغيث بهم، أو جحد وجوب الصَّلاة، أو الزَّكاة، أو تحريم الزِّنا، أو الخمر، أو ما أشبه ذلك من هذه الجزئيات، كُفِّرَ بهذا الشيء، وبطلت أعماله، وصارت هباءً منثورًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [المَائدة: ٥].

فالواجب على كلِّ مسلم أن يحذر ما نهى اللّه عنه من جميع المعاصي، وأن يكون حذره من الشِّرك أشدّ وأعظم، ولا يقول: أنا فهمتُ التَّوحيد، وفهمتُ الإسلام، بعض النَّاس يقول: التَّوحيد فهمناه، وهو جاهل، ما فهمه إلى هذا الوقت، ثُمَّ لو فهمه وتبصَّر فيه فليحذر، ولا يأمن، يسأل ربَّه الثَّبات، ويعتني بالتَّفقه في الدِّين، ويسأل ربَّه عدم الزَّيغ، فكم من قوم تفقهوا وتعلَّموا ثُمَّ زاغوا؟ ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللّه، نسأل اللّه تعالى العافية.

■ مسألة: بقاء الأعمال بعد التوبة:

إذا تاب العبد عن الرِّدَّة ورجع إلى الإسلام عاد عليه ما سلف من العمل، كما قال ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**»[(١)] ولا ينقطع عنه عمله إلَّا إذا مات على الكفر؛ لأنَّ اللّه ﷻ، قال: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النِّسَاء: ١٨] فإنْ مات على الكفر انقطع

(١) أخرجه من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، مسلم، برقم (١٢٣).

عنه عمله، وإلَّا يبقى له عمله الصَّالح.

أمَّا إذا مات وهو مرتدٌ يبطل كلّ شيء، الرِّدَّة أبطلت أعماله كلها، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرقان: ٢٣].

■ مسألة: منع تكفير المعيَّن:

يقول بعض النَّاس: الشخص المعيَّن لا يُكَفَّر، هذا من الجهل، إذا وجد فيه الكفر، كفر.

■ مسألة: من كره شيئًا من الشَّرع ولم يجحده:

من كره ما أنزل حبط عمله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمَّد: ٩] من كره الصَّلاة ولو صلى، أو كره الحج ولو حج، كل من كره ركنًا واحدًا من أركان الإسلام أو كره تحريم الزِّنا، أو تحريم الخمر، حبط عمله كذلك.

ومن يحلق اللِّحية، ولم يكرهها هذا محل نظر فِيه شبهة؛ لأنَّ بعض العلماء لا يراها واجبة، لكن من كره شرع اللَّه فيها كفر، أقل ما يقال: أنَّها سُنَّة.

■ مسألة: في اعتياد بعض الكلمات:

من اعتاد بعض الكلمات، مثل ما صدقت على اللَّه، أو فلان يعلم الغيب، قول: ما صدقت على اللَّه، يعني: إذا وجد شيئًا بعد تعب، ليس فِيها شيء، وهي كلمات تقولها العامة، للَّذي يحصل على الشيء بعد تعب.

أمَّا فلان يعلم الغيب فهذا كفر، من قال أنَّ أحدًا يعلم الغيب، فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥] وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠].

■ **مسألة: في الفرق بين الجهميَّة والمرجئة:**

الجهميَّة: يرون أنَّ العبدَ مَجبور على عمله، فهم مجبرة لا مرجئة، يرون أنَّ العبد مجبور ليس عليه شيء، ويلزم على قولهم: أنَّ اللَّهَ ظالم له تعالى اللَّه عمَّا يقولون علوًا كبيرًا. كذلك الجهمية عندهم الإيمان هو المعرفة، والمرجئة بقولهم أنَّ الإيمان تصديق فِي القلب فقط[(١)].

(١) ينظر: لمعرفة المزيد في الفرق بين الجهمية والمرجئة، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (١/ ٢٠٨، ٢٧/ ١١٧) وفتاوى نور على الدرب لسماحته (١/ ٦٣).

[الرَّدُّ على شُبْهَةِ أَنَّ مَنْ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه لا يَكفر ولو اقترف ناقضًا مِنْ نواقضها]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وللمشركين شُبْهَةٌ أخرى يقولون: إنَّ النَّبِيّ ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وقال له: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه؟!»[(١)] وكذلك قوله: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[(٢)] وأحاديث أخرى في الكفِّ عمَّن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة: أَنَّ مَنْ قالها لا يُكفر، ولا يُقتل ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أنَّ رسول اللَّه ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وأنَّ أصحاب رسول اللَّه ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويصلون، ويدَّعون الإسلام، وكذلك الَّذين حَرَّقهم علي بن أبي طالب بالنَّار.

وهؤلاء الجهلة مُقِرُّون أنَّ من أنكر البعث كَفر وقُتِلَ، ولو قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وأنَّ مَن جحد شيئًا من أركان الإسلام كَفر وقُتِلَ ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع وتنفعه إذا جحد التَّوحيد الَّذي هو أساس دين الرُّسل ورأسه، ولكن أعداء اللَّه ما

(١) أخرجه عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا البخاري، برقم (٤٢٦٩) ومسلم، برقم (٩٦).
(٢) أخرجه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٢٥) ومسلم، برقم (٢٢).

فهموا معنى الأحاديث ولن يفهموا.

فأمَّا حديث أسامة فإنَّه قتل رجلًا ادَّعى الإسلام؛ بسبب أنَّه ظَنَّ أنَّهُ ما ادَّعى الإسلام إلَّا خوفًا على دمه وماله، والرَّجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفُّ عنه حتَّى يَتَبيَّن منه ما يخالف ذلك، وأنزل اللَّهُ تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النِّساء: ٩٤] أي: فتثبَّتوا، فالآية تدلُّ على أنَّه يجب الكفُّ عنه والتَّثبُّت، فإذا تَبَيَّن منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتِلَ لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ ولو كان لا يُقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنًى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه: ما ذكرناه أنَّ مَن أظهر التَّوحيد والإسلام وجب الكفُّ عنه إلَّا إنْ تَبيَّن منه ما يناقض ذلك، والدَّليلُ على هذا: أنَّ رسول اللَّه ﷺ الَّذي قال: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه؟» وقال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

هو الَّذي قال في الخوارج: «أَيْنَما لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»[(١)] «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(٢)] مع كونهم من أكثر النَّاس عِبادةً وتهليلًا وتسبيحًا، حتَّى إنَّ الصَّحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصَّحابة، فلم تنفعهم لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، ولا كثرة العبادة، ولا ادِّعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشَّريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصَّحابة بني حنيفة، وكذلك: أراد ﷺ أن يغزو بني المُصطلق لما أخبره رجل منهم أنَّهم منعوا الزَّكاة، حتَّى أنزل اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ

(١) أخرجه عن علي رضي الله عنه البخاري، برقم (٣٦١١) ومسلم، برقم (١٠٦٦).
(٢) أخرجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه البخاري، برقم (٣٣٤٤) ومسلم، (١٠٦٤).

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجرَات: ٦][(١)] **وكان الرَّجل كاذبًا عليهم، وكل هذا يدلُّ على أنَّ مراد النَّبِيّ ﷺ في الأحاديث الَّتي احتجوا بها ما ذكرناه».**

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه المسألة مسألة مُهِمَّةٌ عظيمةٌ، أوضحها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي: تعلق المشركين بأحاديث مطلقة عامَّة في الأمر بالكفِّ عمَّن قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كما ظنُّوا أنَّ من قالها لا يكفر ولو فعل ما فعل، وبعضهم ظنَّ أَنَّهُ يَكفر بأشياء دون الشِّرك؛ لجهلهم.

وقوله ﷺ لأسامة: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه؟**» وقوله: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا**» دليلٌ على ما درج عليه الصَّحابة وغيرهم في قتال المرتدين، والمعنى من ذلك: أنَّ مَن أظهر التَّوحيد والإسلام كُفَّ عنه، حتَّى يُعلم منه ما يخالف ذلك، والَّذي قتله أسامة ظنَّ أَنَّهُ قالها خوفًا من السِّلاح فقتله، فخطَّأه النَّبِيّ ﷺ وَبَيَّن له أنَّ الواجب الكفُّ عنه، حتَّى ينظر في أمره.

وهكذا كل إنسان لا يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، من الكُفَّار الَّذين يأبون أن يقولوها، مثل: كُفَّار قريش لَمَّا قال لهم النَّبِيُّ قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: ٥] وقالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصَّافات: ٣٦] وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصَّافات: ٣٥-٣٦] فالَّذين يجحدون لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

(١) أخرجه الطبراني في «التفسير» (٢١/ ٣٤٩).

إذا قالوها يكفُّ عنهم حتَّى ينظر في أمرهم، فإن استقاموا، ووحدوا اللَّهَ، وأخلصوا له العبادة، والتزموا بالشَّرع عُلِمَ إسلامهم، وتمَّ الكفُّ عنهم.

أمَّا مَن قالها وهو لا يؤمن بمعناها ولا يعتقده، يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهو يَعبدُ غير اللَّه كما يفعل المنافقون، وكما فعل أصحاب مسيلمة، يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويصلون، ويقولون: مسيلمة نَبِيٌّ، قد كذَّبُوا قوله جلَّ وعلا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] كيف يكون نبيًّا، وَمُحَمَّدٌ خاتم الأنبياء؟! فلهذا قاتلهم الصَّحابة؛ لأنَّهم زعموا في مسيلمة أنَّهُ نَبِيٌّ، وهذا كُفْرٌ بالإجماع، ولو قالوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وهكذا الَّذين حَرَّقهم علي بن أبي طالب ﷺ زعموا أَنَّه إِلَهٌ، وأَنَّه هو اللَّهُ، فحرَّقهم وهم يقولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يقولون: بألسنتهم ما لا يطابق أفعالهم.

وهكذا المنافقون يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهم يعتقدون بطلان الدِّين، وأَنَّهُ لا حقيقة له، ويقولونها رياءً وتعوذًا، ومع هذا قال اللَّه في حقِّهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٥] ولن ينفعهم قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه؛ لأنَّهم قالوها بالألسنة، وكفروا في باطنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٢-١٤٣] ليس لديهم إيمان، فهكذا كل إنسان يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهو يَعبدُ غير اللَّهِ، أو ينكر البعث والنشور، أو وجوب الصَّلاة، أو يستحل الزِّنا، أو الخمر، يكفر بذلك عند جميع المسلمين.

ولهذا عقد العلماء في كل مذهب "باب حكم المرتد" ثُمَّ فسَّروه، فقالوا: المرتد هو الَّذي يَكفر بعد إسلامه[١] يعني: هو الَّذي يأتي بناقض من نواقض الإسلام فيكفر بذلك، وإن قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فلو كان يقولها، ويصلي ويصوم، ولكن يقول: الزِّنا حلال، من شاء زنى فلا بأس، كفر عند جميع أهل العلم، أو قال: إنَّ الخمر حلال، أو قال: إنَّ عقوق الوالدين حلال، كفر عند جميع أهل العلم.

فالواجب: اليقظة، والانتباه، والتَّبصُّر، والفقه في الدِّين؛ فالمسلم يرتد إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام، ولو أتى بالبقية [أي: ببقية شرائع الإسلام] فإذا كان يعبد البدوي، أو النَّبِيّ ﷺ، أو زينب، أو الحسن، أو الحسين، أو علي، أو غيرهم، يعبدهم ويستغيث بهم كفر، ولم ينفعه قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهكذا إذا دعا الملائكة، واستغاث بهم، أو بالجِنِّ كفر، ولو قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهكذا إذا دعا الأشجار، أو الأحجار، أو الأصنام، كما كانت تفعل قريشًا مع العُزَّى واللّات ومناة.

فالواجب على المسلم: أنْ يتبصَّر، يكون على بيِّنة في دينه، فالمشرك مشرك وإن قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، والكافر كافر وإن قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حتَّى يؤمن بمعناها، ويؤدِّي حقَّها، كما قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه. فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا**» وفي حديث ابن عمر: «**إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**» فلا بُدَّ من حقِّ الإسلام وحق لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهو الالتزام بدين اللَّهِ، والحذر ممَّا

(١) ينظر: ما سبق ذكره.

يسبب الشِّرك، أو تكذيب اللّه ورسوله، ولو أن الإنسان يفعل كلّ عبادة، ويعتقد كلّ ما أوجب اللَّه، ولكنه يقول مثلًا: ليس هناك بعث، ولا نشور، ولا جنَّة، ولا نارٌ كفر عند الجميع، ولو أنَّهُ يصلي ويصوم، ولو كان من أَعْبَدِ النَّاس.

وهكذا لو كان يؤمن بكلِّ شيء، ولكن يقول: الزنا حلال، أو الخمر حلال، أو الصَّلاة ليست بواجبة، أو صوم رمضان ليس بواجب، أو الحج ليس بواجب مع الاستطاعة كَفَرَ عند الجميع.

فالواجب: التَّنبه لهذه الأمور، وأنْ يكون طالب العلم على بصيرة وألَّا يغتر بقول هؤلاء المرتدين، الجهلة الضالين، الَّذين يَعبدُون القبور، ويستغيثون بالأموات، ويقولون: نحن مُسلمون، نسأل اللَّه العافية، رزق اللَّهُ الجميع التَّوفيق والهداية.

■ **مسألة: فيمن يقول: في دعائه يا حبيبي:**

ليس فِيها شيء، هو أحبُّ حبيب ﷻ، ولكن إذا دعاه بأسمائه يا اللَّه يا رحمن أفضل؛ لأنَّ اللَّه ﷻ، يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعرَاف: ١٨٠] لم يقل: أدعوني بـ(يا حبيبي) قال: أدعوه بإسمائه وصفاته، يا اللَّه يا رحمن يا رحيم يا ذا الجلال والإكرام، وإنْ كان هو أحب حبيب، لكن يُدعى بأسمائه وصفاته الَّتي بينها ﷻ.

■ **مسألة: من سأل باللَّه لأمر ولم يجب:**

النَّبِيُّ ﷺ قال: «**مَنْ سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ**»[١] إلَّا إذا كان ليس له حقٌّ، فلو قال: أسألك باللَّه أن تعطيني من الزَّكاة، وهو ليس من أهلها لا يعطى، لكن إذا سأل شيئًا له فِيها شبهة، إذا سأل من بيت

(١) أخرجه عن ابن عمر أبو داود، برقم (١٦٧٢) والنسائي، برقم (٢٥٦٧).

المال -مثلًا-، أو سأل لأنَّه فقير يعطى ما تيسر «**مَنْ سَأَلَ بِاللَّه فَأَعْطُوهُ**» ولكن لا ينبغي أن سأل باللَّه ويُشَدِّد على النَّاس؛ ولهذا قال الملك: الَّذي أتى الأبرص والأعمى والأقرع أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ[1] كذا وكذا، سأله باللَّه.

والمقصود: أنَّه إذا كان في شيء مُهم وسأل باللَّه يعطى إذا كان له حقٌّ، أمَّا إذا لم يكن له حقٌّ، فلا يعطى ولو سأل باللَّه، فلو قال أسألكم باللَّه أن تعطوني من الزَّكاة، وليس من أهلها فلا يعطى منها؛ لأنَّه ليس من أهلها أو قال أسألكم باللَّه أن تعطوني أموالكم الَّتي عندكم كلها، ولا تبقوا لكم شيئًا، فلا يعطى.

■ مسألة: الكف عمَّن يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه من الكفرة:

من قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يكف عنه إذا لم يكن يقرُّ بالتَّوحيد سابقًا، وحتَّى ينظر فِي أمره مثلما أَمرالنَّبِيّ ﷺ أسامة، أمَّا إذا كان تكلم بالتَّوحيد، ولكن ما كف عن الشِّرك فكلامه لا ينفعه، لا بُدَّ أن يترك الشِّرك ويتوب منه، فَعُبَّاد البدوي أو عُبَّاد الحسين، أو عُبَّاد على، أو عُبَّاد اللَّات، أو عُبَّاد الكواكب والأصنام، إذا قالوا: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، لا يكف عنهم حتَّى يتوبوا من عملهم، ومن شركهم وكفرهم، وهكذا من سب الله أو سب الرَّسول ﷺما يكف عنهم حتَّى يتوب من هذا.

فالكافر إذا قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يتعوذ بها، واللَّهُ أعلم بنيته، لا يُقتل إذا لم يكن يقولها سابقًا، لا يقتل حتَّى يتثبت فِي أمره، ولو ظن أنَّه أراد أن يتعوذ بها مثلما قال النَّبِيُّ ﷺلأسامة «**هَلْ شَقَقْتَ عَنْ**

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري، برقم ٣٤٦٤) ومسلم، برقم (٢٩٦٤).

قَلْبِهِ». كذلك لا يجوز ضربه فِي يده أو رجله، فإذا كان لا يقولها أصلًا، ثُمَّ قالها يمسك عنه حتَّى ينظر فِي أمره.

■ **مسألة: فيمن يقول للآمر والنَّاهي فضولي:**

من يقول للآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر فضولي هذا القول: لا يُعَدُّ كفرًا، ويُبَيَّن للقائل أنَّ هذا غلط، وأنَّه كلام غير صحيح، وليس هذا بفضولي، وهذا من الجهل يبين له.

■ **مسألة: إذا قال: بالكفر أو عمل به لا يكفر حتَّى تقام عليه الحُجَّة:**

هذا القول من جهلهم، عُبَّاد القبور كُفَّار، واليهود كُفَّار والنَّصارى كُفَّار، ولكن عند القتل يستتاب، فإنْ تاب وإلَّا قتل، والحجة قامت عليهم، بلغهم القرآن، وهم بين المسلمين قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المَائدة: ٦٧] فقد بلَّغ الرَّسول ﷺ والقرآن بين أيديهم، يسمعونه من الإذاعات وغيرها، ولكنهم لا يبالون، ولا يلتفتون، وإذا جاء أحد من غيرهم ينهاهم أعذروه.

■ **مسألة: عذر من جهل قدرة اللَّه:**

أمر رجل أهله إذا مات أن يحرقوه ويسحقوه ويذروه[(١)] هذا جَهِلَ بعض أمور، خفِية عليه كمال قدرة اللَّه، فعذره اللَّه، فقد حمله خوفه من اللَّه وجهل كمال القدرة، فقال لأهله ما قال.

(١) أخرجه عن أبي سعيد رضي الله عنه البخاري، برقم (٣٤٧٨) ومسلم، برقم (٢٧٥٧).

■ **مسألة: عدم الرضى يعتبر تكذيب يقتضي الكفر:**

لما ذكر الرَّسول ﷺ في الحديث أنَّه سيعطيهم، فقام فخطب فِي النَّاس، فقال: «**أَرَضِيتُمْ، قَالوا: لَا**»[(١)] فقالوا هذا تكذيب للنَّبِيِّ ﷺ وهو كفر؟

● **الجواب:** هذا ليس بتكذيب له ﷺ هو يسألهم: أَرَضِيتُمْ ويشير إلى الَّذي أعطاه النَّاقة فزاده حتَّى رضي، وهذا ليس بتكذيب، والَّذي يقول هذا الكلام تكذيب جاهل.

■ **مسألة:** بعض النَّاس إذا نُصِحَ قال: ما هداني اللَّه ﷻ يقال له: أسأل ربك الهدية، فالله يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

■ **مسألة: زعم سقوط العبادات:**

بعض أئمة الطرق المنحرفة، يقولون: وصلنا إلى مرتبة اليقين، فلا تلزمنا العبادات؟

● **الجواب:** هذا كفر عند أهل العلم، من قال: تسقط عنه العبادات كفر بالإجماع إلَّا إذا كان جُنّ، أصابه الجنون.

(١) أخرجه عن عائشة رضي الله عنها أبو دواد، برقم (٤٥٣٤) والنسائي، برقم (٤٧٧٨) وابن ماجه، برقم (٢٦٣٨).

[بطلان شُبْهَةِ القبوريين بأن الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركًا]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ولهم شُبْهَةٌ أخرى، وهي: ما ذَكَر النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ النَّاس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثُمَّ بنوح، ثُمَّ بإبراهيم، ثُمَّ بموسى، ثُمَّ بعيسى، فكلهم يعتذرون، حتَّى ينتهوا إلى رسول اللَّه ﷺ»(١) قالوا: فهذا يدل على أنَّ الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركًا.

والجواب: أنْ تقول: سبحان مَن طبع على قلوب أعدائه، فإنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القَصَص: ١٥] وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة الَّتي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم في الأشياء الَّتي لا يقدر عليها إلَّا اللَّه.

إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أنْ يدعوا اللَّه أنْ يحاسب النَّاس؛ حتَّى يستريح أهل الجنَّة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدُّنيا والآخرة، وذلك أنْ تأتي عند رجل صالح حَيٍّ يجالسك ويسمع كلامك، وتقول له: ادع اللَّه لي، كما

(١) أخرجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٤٧١٢) ومسلم، برقم (١٩٤).

كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأمَّا بعد موته فحاشا وَكَلَّا أنَّهم سألوا ذلك عند قبره، بل أنكر السَّلف على من قصد دعاء اللَّه عند قبره، فكيف بدعائه نفسه ﷺ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

المشركون لهم شبَهٌ كثيرة يُشبهون بها على النَّاس؛ لقلة علمهم، وغلبة الجهل عليهم، واعتيادهم للباطل، فإنَّ الإنسان إذا اعتاد الباطل صعب عليه التَّخلص منه، وصار يتطلب الشُّبه الَّتي تبرر عمله، ويتعلق بخيط العنكبوت، فيقولون: لِمَ تنكر علينا دعوة الأموات والاستغاثة بهم، والنَّاس يوم القيامة يستغيثون بآدم، وبنوح، وبإبراهيم، وبموسى، وعيسى؛ حتَّى يشفعوا لهم عند اللَّهِ؟! هذا يدلُّ على جواز الاستغاثة بالمخلوقين.

فيقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **«سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإنَّ الاستغاثة»** بالحي غير الاستغاثة بالميت، والاستغاثة بالحاضر غير الاستغاثة بالغائب، فرق بينهما، النَّاس يوم القيامة يستغيثون بآدم، وبنوح، وبإبراهيم، وبموسى، وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في أمور يستطيعونها، وهي الشَّفاعة لهم؛ ليريحهم اللَّه من كرب الموقف، وهذا جائز في الدُّنيا والآخرة.

تقول لإنسان: اشفع لي عند فلان كذا، الَّذي يقدر، سلفني كذا، أقرضني كذا، هذا لا بأس به، وكما يقع في الحرب يستعين الإنسان بأصحاب الحرب، يتعاونون، يقول: عندك الجهة الفلانية احفظها، والآخرين يقاتلون في الجهة الأخرى، يتعاونون، ويتواصون بحرب الأعداء.

وفي هذا المعنى: قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع القبطي، كما قال

تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] استغاث الإسرائيلي بموسى على القبطي، فأغاثه: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] لأنَّ موسى حاضر قادر، فإذا قُلْتَ لزيد أو عمرو: أغثني من خادمك، أو من ولدك، اكفني من شره، أو من هذا السبع؛ لأنَّ معه بندق يرميه بها، أو يضربه بشيء فهذه الاستغاثة لا بأس بها؛ لأنَّه حاضر قادر.

وقد تكون الاستغاثة بالمكاتبة، مثل: إنسان غائب يكتب له كتابًا يقول: أرسل لي كذا، أقرضني كذا، بعني: استعانة بالمكاتبة، أو بالتَّلفون فلا بأس بذلك.

المنكر كونه يأتي إلى ميِّتٍ، أو صنمٍ، أو شجرٍ، أو حجرٍ يستغيث به، هذا هو الشِّرك الَّذي فعله المُشركون، وكذا الاستغاثة بالغائب كالملائكة أو بالجِنِّ، هذا هو الشِّرك الَّذي أنكره الرُّسل والأنبياء، وأنكره الدُّعاة إلى الخير، أمَّا الاستغاثة بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ، أو بغائب بالمكاتبة، أو بوصية إنسان يتصل به، يقول له: قل له كذا وكذا، أو بالهاتف كما يحصل الآن المعروف بـ(التَّلفون) هذا ليس بغائب، هذا حاضر يكلمه بالتَّلفون مثلما يكلم الحاضر، أو يكتب له كتابة: أقرضني كذا، أو اشترِ لي كذا، ليس فيه بأس، فرق بين هذا وهذا.

أمَّا كونه يأتي المِّيت، يقول: انصرني، أنا في حسبك، أنا في جوارك، هذا شرك المشركين، أو يسجد له، أو يذبح له، أو يستغيث به، أو بالغائب كالملائكة والجِنِّ، يا جن، افعلوا كذا، يا جبرائيل أغثني، يا إسرافيل، وهم غائبون عنه لا يشاهدهم، ولا يسمعون كلامه، هذا هو الَّذي فعله المشركون، هذا هو الشِّرك الأكبر، وهكذا مع الشجر أو الصنم أو مع النَّجوم أقبح وأقبح، نسأل اللّه العافية.

■ مسألة: ضابط طلب الدُّعاء من الغير:

ليس كلّ النَّاس يطلب منهم الدُّعاء، بل خواص النَّاس، أمَّا تؤذي كلّ أحد بطلب الدُّعاء منه فلا، وإنَّما تسأل بعض خواص إخوانك، وما كان النَّبِيُّ ﷺ يطلب من كلِّ أحد، وإنَّما يُروى أنَّه قال لعمر عندما أراد العمرة: «**لَاتَنْسَنَا يَاأُخَيَّ مِن دُعَائِكَ**». فَقَالَ عُمَر: كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا[١]. وفي لفظ قَالَ: «**يَا أَخِي أَشْرِكْنَا فِي دُعَائِكَ**». فَقَالَ عُمَرُ: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لِقَوْلِهِ: «يَا أَخِي»[٢].

وأوصاه بأويس القرني إذا قدم،وَأَنَّهُ كَانَ بَارًا بِأُمِهِ من لقاه منكم فليطلب منه أنْ يستغفر له[٣] فما قاله لكلِّ أحد، بعض النَّاس كلما وجد أحد، قال: أدعو لي، فينبغي للإنسان ألَّايفعل هذا في كلِّ الأحيان مع كلّ النَّاس حتَّى لا يؤذي إخوانه.

■ مسألة: إزالة الشُّبة والمُتَشَابِهِ:

المشركون وصفهم اللَّه فِي كتابه أنَّهم يتبعون المتشابه، والشُّبهات، وكثير من العلماء يطلق أنَّه لا يكفر حتَّى تزال الشُّبهة، كيف التفصيل فِي المسألة.

● **الجواب**: الَّذي فِيه شبهة تُزال الشُّبهة، والَّذي ما فِيه شبهة الحمد اللَّه. والشبه المعتبرة، هي الشيء الَّذي قد يخفى أمرها، فتُبَيَّن للمشتبه عليه.

ومن وقع فِي الشُّبهة المكفِّرة، إن كان ينطق بالشَّهادتين، فالتَّوبة

(١) أخرجه عن عمر رضي الله عنه أبو داود، برقم (١٤٩٨).
(٢) أخرجه عن عمر رضي الله عنه الإمام أحمد (١/ ٢٩برقم ١٩٥).
(٣) أخرجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مسلم، برقم (٢٥٤٢).

مما قال أو فعل تكفيه، وإن نطق بالشَّهادتين فلا بأس بذلك، كما قال بعض أهل العلم، والمقصود: أنَّ التَّوبة تحصل بالرجوع عما أخطأ فيه، فمن دعا الأموات، ثُمَّ تاب من ذلك، تاب اللَّه عليه، وكذا من ذبح لغير اللَّه، ثُمَّ تاب من ذلك تاب اللَّه عليه[١].

وعُبَّاد القبور كذلك إذا تابوا إلى اللَّه، واعترفوا أنَّ دعاء القبور عبادة، وأنَّه كفر ورجعوا دخلوا فِي الإسلام والحمد للَّه.

■ **مسألة: التفريق بين الغائب الحيِّ والميِّت:**

الغائب الَّذي يُكلم بالهاتف، أو بالوكالة بالمكاتبة، وهو حي هذا ليس فِيه شيء، أمَّا تَكليم الميت ليس فِيه شبهة، هذا هو صريح شرك المشركين الَّذين يدعون اللَّات والعُزى وأشباهها، ويدعون الملآئكة والجنَّ هذا شرك، فالَّذي عنده شبهة تزال عنه الشُّبهة، فدعاء الغائبين، ودعاء الملآئكة، ودعاء الأموات غير دعاء الحي الحاضر، وأجمع المسلمون أنَّه لا بأس به، أن يقول: للحي الحاضر: اشفع لي أدع اللَّه لي.

فلا يظن ظان أن سؤال الغائب ليس فِيه شيء، يقال له الغائب تسمية غائبًا يكفِي، فإنْ كان يمكن أن تصل إليه بالمكاتبة وتحاكيه، فهذا ليس فِيه شيء.

أمَّا إذا سألت الغائب الميِّت تعتقد أنَّه يسمع كلامك، وأنَّه ينفعك، هذا هو الَّذي فعله المشركون مع الملآئكة، ومع معبوداتهم من دون اللَّه.

---

(١) ينظر: ما سبق.

وطلب الشَّفاعة من الميت ليست مسألة خفِية، وإن وقع فيها المجتمع، هي بيِّنة، إذا مات ابن آدم انقطع عمله، وانتهى فليس له عمل: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فَاطِر: ١٤] مات انقطع عمله فليس له عمل.

■ **مسألة: بعث الأجسام:**

الأبدان والأجسام الَّتي فِي الدُّنيا هي الَّتي يبعثها اللَّه يوم القيامة، لكن تتغير فتكون كـ «**خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**»(١).

■ **مسألة: الخفاء والوضوح:**

يتغير الخفاء والوضوح باختلاف الأزمنة والأمكنة، كلما عظم الجهل زاد الخفاء، وكلما اشتدت غربة الإسلام زاد الخفاء، لكن مادام بين المسلمين يسمع القرآن، ويسمع السُّنَّة فقد بلغ ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] القرآن بَلّغ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعَام: ١٩] هذا بلغه القرآن فإذا قلت له: تب إلى اللَّه سيخاصمك، ولا يقبل منك الفائدة، وأهل القبور اليوم صعب معهم التفاهم فِي التوحيد إلَّا بشدة، لا يرضون بالتفاهم؛ لأنَّهم يرون أنَّهم على حقٍّ، إلَّا من رحم اللَّه. المسائل الغير مكفرة أمرها أسهل، المقصود المسائل المكفرة.

■ **مسألة: في فِرَق الجهمية:**

هل يعم الحكم فِيهم عوامهم أم فِيه تفصيل؟ عوامهم معهم إذا كانوا يعتقدون ما يعتقده مراجعهم فهم مثل عوام اليهود والنصارى

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري، برقم (٣٣٢٧) ومسلم، برقم (٢٨٣٤).

معهم، إنَّما الشيء الَّذي يخفى، مثل معرفة كمال القدرة فِي حقِّ الَّذي طلب من أهله أن يحرقوه ويذرُّوه فِي اليوم الصائف، ظنَّ أنَّه يفوت، وأنَّه يسلم أمر اللَّه البر والبحرأن يجمعا ما فِيهما ثُمَّ قال له: ما حملك على ذلك، قال: خوفك يا رب، فتجاوز اللَّه عنه.

■ **مسألة: من لم تصلهم الدَّعوة حتَّى الآن؟**

هؤلاء ليسوا بمسلمين ولا كفار، وأمرهم إلى اللَّه، فهم من أهل الفترة. الَّذي لم يبلغه الإسلام يمتحن يوم القيامة، والَّذي بلغه الإسلام لا يمتحن. أو كان بين المسلمين، ويسمع القرآن، عندنا نحكم عليه أنَّه قامت عليه الحُجَّة بالقرآن والسُّنَّة وأمره إلى اللَّه.

وقد يوجد اليوم فِي بعض مجاهل أفريقيا وغيرها من لم تبلغه الدَّعوة. وأمَّ قول الرَّسول ﷺ: لا تشرق الشَّمس ولا تغرب إلَّا طرق الإسلام بيتًا بعز عزيز أو بذل ذليل هذا يحتاج إلى نظر فِي صحته، وبغض النظر عن صحته وعدم صحته لا يلزم الأفراد يلزم مواصفات الجهات لا يلزم الأفراد حتَّى تصلهم الدَّعوة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسرَاء: ١٥].

■ **مسألة: الإنكار عند أهل القبور:**

هل ننكر عليهم مباشرة، أو يطبق عليهم قاعدة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. ينصح المتعلمون منهم فإذا تابوا وهداهم اللَّه فالحمد للَّه، وإن أبوا فهم كفار بغير اللَّه كلها درب واحد، لابد من التوحيد بالقول واللِّسان والعمل.

[بطلان احتجاج القبوريين بقول جبريل لإبراهيم حين أُلقي في النَّار: ألك حاجة؟]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ولهم شُبْهَةٌ أخرى: وهي قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أُلقي في النَّار، اعترض له جبريل في الهواء، فقال له: «أَلَكَ حَاجَةٌ؟» فقال إبراهيم: «أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا» فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركًا لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أنَّ هذا من جنس الشُّبهة الأولى؛ فإنَّ جبريل عرض عليه أنْ ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنَّه كما قال اللَّهُ تعالى فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] فلو أذن له أنْ يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أنْ يضع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أنْ يرفعه إلى السماء لفعل.

وهذا كرجل غني له مال كثير، يرى رجلًا محتاجًا فيعرض عليه أنْ يُقرضه، أو يهبه شيئًا يقضي به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أنْ يأخذ، ويصبر إلى أنْ يأتيه اللَّه برزق لا مِنَّةَ فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشِّرك لو كانوا يفقهون؟!

ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مُهِمَّة جدًّا، تُفهم ممَّا تقدَّم، ولكن نفرد لها الكلام؛ لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها، فنقول: لا

خلاف أنَّ التَّوحيد لا بُدَّ أنْ يكون بالقلب واللِّسان والعمل، فإنْ اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا، فإنْ عرف التَّوحيد ولم يعمل به فهو كافرٌ معاندٌ ككفر فرعون، وإبليس وأمثالهما.

وهذا يغلط فيه كثيرٌ من النَّاس، يقولون: إنَّ هذا حقٌّ، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنَّه الحقُّ، ولكنا لا نقدر أنْ نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلَّا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار، ولم يدرِ المسكين أنَّ غالب أئمة الكُفر يعرفون الحقَّ ولم يتركوه إلَّا لشيء من الأعذار.

كما قال تعالى: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [التوبة: ٩] وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ١٤٦] فإن عمل بالتَّوحيد عملًا ظاهرًا وهو لا يفهمه، ولا يعتقده بقلبه، فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: ١٤٥].

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تتبيَّن لك إذا تأملتها في ألسنة النَّاس، ترى من يعرف الحقَّ ويترك العمل به؛ لخوف نقص دنياه، أو جاه أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألته عمَّا يعتقده بقلبه، فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب اللَّهِ.

أولاهما: قوله تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٦] فإذا تحققت أنَّ بعض الصَّحابة الَّذين غزوا الرُّوم مع رسول اللَّهِ ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللَّعب تبيَّن لك أنَّ الَّذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفًا من نقص مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراة لأحد أعظم ممَّن يتكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثَّانية: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦-١٠٧] فلم يعذر اللَّه من هؤلاء إلَّا من أكره مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان، وأمَّا غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفًا، أو مداراة، أو مشحَّة بوطنه، أو أهله، أو عشيرته، أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلَّا المُكره.

فالآية تدل على هذا من وجهين:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦] فلم يستثنِ اللَّه تعالى إلَّا المُكره، ومعلوم أنَّ الإنسان لا يكره إلَّا على الكلام، أو الفعل، وأمَّا عقيدة القلب فلا يكره أحدٌ عليها.

والثاني: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧] فصرَّح أنَّ هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد، والجهل، والبغض للدِّين، ومَحبَّة الكُفر، وإنَّما سببه أنَّ له في ذلك حظًّا من حظوظ الدُّنيا فآثره على الدِّين.

واللَّه ﷻ أعلم، وأعزُّ وأكرم، وصلَّى اللَّهُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله أجمعين».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: المشركون لهم شُبْهَةٌ غير الشُّبهة السَّابقة الَّتي سبق الجواب عنها، وهي أنَّهم يقولون: إنَّ إبراهيم لَمَّا أُلقي في النَّار اعترضه جبرائيل، فقال: «هَلْ لَكَ حَاجَةٌ؟ فقال: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، وَأَمَّا إِلَى اللَّهِ فَبَلَّى»[(١)] قالوا: فكون جبريل يَعرض على إبراهيم حاجة يدلُّ هذا على أنَّه يجوز أنْ يستعان باللَّهِ، ويستغاث بغيره؛ لأنَّ جبريل عرض، لو كان ممنوعًا ما عرضه جبرائيل.

فَيُقال لهؤلاء: هذا من أعظم الجهل، جبرائيل ملك عظيم، أعطاه اللَّهُ من القوة ما أعطاه، فهو عرض عليه أن ينجده، ويسعفه بشيء يقدر عليه جبرائيل، فأجاب إبراهيم بأنَّه ليس له حاجة إليه، إنَّما حاجته إلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فجبرائيل لو أمره اللَّهُ أنْ يأخذ إبراهيم إلى جهة السَّماء، أو مكان بعيد، أو يطفئ النَّار استطاع؛ هو القوي الأمين عليه الصَّلاة والسَّلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] وهو جبرائيل عليه الصَّلاة والسَّلام.

هو الَّذي قال فيه سبحانه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النَّجم: ٥-٦] فهذا مثل إنسان فقير يعرض عليه إنسان عنده أموال كثيرة، يقول: لك حاجة أُعطيك، تريد لباس تريد دراهم، تريد طعام؟ فيقول الفقير: ما لي عندكَ حاجة، أنا حاجتي أطلبها من جهات

(١) سئل سماحته عن صحة قصة جبريل مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: لا أعرف فِيها أحاديث، وإنَّما ذكرها المؤرخون، أخرجه عن المعتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه، ابن جرير الطبري في «تاريخه» (١/ ١٤٨) وابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٤٦).

أخرى، فهل في هذا شيء؟! ليس في هذا شيء، إنَّما الشِّرك الَّذي بيَّنه القرآن كونه يأتي إلى الأموات أو إلى الأشجار والأحجار يستغيث بها، ينذر لها، أو إلى النُّجوم أو الأصنام أو غير هذا، فيطلب المَدد أو الغوث من ميِّتٍ، أو صنمٍ، أو حجرٍ، أو جِنٍّ، أو غائب بغير أسباب حسيَّة.

والواجب: على المؤمن أن يحذر ذلك؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وقال سبحانه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فَاطِر: ١٣-١٤] فاللَّهُ سبحانه حَذَّر ممَّا يفعله المُشركون مع أصنامهم وأوثانهم، وأخبر أنَّها لا تملك شيئًا، وأنَّ المُلك لِلَّهِ وحده، مُصرِّف الكون جلَّ وعلا.

ثُمَّ ختم الكلام رَحِمَهُ اللَّهُ بخاتمة عظيمة، وهي: أنَّ التَّوحيد لا بُدَّ أنْ يكون بالقلب واللِّسان والعمل، لا بُدَّ أنْ يُؤمن باللَّهِ، وأنَّه مستحقٌّ للعبادة، ولا بُدَّ أنْ ينطق بهذا، فيخص اللَّه بالعبادة، فلو أشرك باللَّهِ، وقال: أنا مُؤمن أنَّ التَّوحيد حقٌّ، وأنَّ اللَّهَ مستحقٌّ العبادة.

لكن لا أريد أنْ أخالف جماعتي، أنا سأفعل ما يفعل جماعتي، ولا أحبُّ أنْ أخالفهم، أنا أعبد معهم القبور والأصنام، وأذبح معهم لغير اللَّهِ، وإنْ كنتُ أعلم أنَّ هذا باطل، ولكن مجاملة لجماعتي، وعدم مخالفة لجماعتي.

كما فعل كُفَّار قريش وغيرهم مِمَّن يعرف الحقَّ، كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] وقال في بني إسرائيل الكافرين: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وقال في حقِّ فرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسرَاء: ١٠٢] ولكنه الجحد والتكبر.

وهكذا لو اعتقد بقلبه أنَّ اللَّهَ حقٌّ، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ حقٌّ، وأنَّ السَّاعة حقٌّ، ولكن قال بلسانه: لا مانع من دعاء الأموات، لا مانع من الاستغاثة بالأموات؛ مجاملة لقومه، وإلَّا يعتقد خلاف ذلك أشرك بذلك؛ لأنَّه أجاز بسكوته وفعله ما حرَّم اللَّه، وهو يعلم أنَّه شرك.

أو عمل به، قال: أنا ما أعتقده، لكن أعمل به مجاملة لهم، سجد لغير اللَّهِ دعا مع اللَّه غير اللَّهِ أشرك باللَّهِ، أو قال بلسانه التَّوحيد، ولكن بقلبه جحد، كالمنافقين، يكفر، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٧] وقال فيهم اللَّه: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التّوبَة: ٦٦] ولو قالوا: قلوبنا طيِّبة وسليمة، ما دام فعلوا الشِّرك، وفعلوا ما يوجب الكفر.

[أشركوا وكفروا إلَّا من أكره بالضرب أو التهديد بالقتل ليقول الشِّرك هذا يُسمَّى مكرهًا، قال اللَّه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النّحل: ١٠٦] كأن يقال له: تكلم بهذا وإلَّا قتلناك، ويضرب بالجريد وغيره حتَّى يتكلم، وهو مكره، وقلبه مطمئن بالإيمان، وهو مؤمن باللَّه، ولا ينساق بعدهم بقلبه، لكن تكلم باللِّسان ليدفع عن نفسه الضرب، أو القتل، هو هذا المكره؛ لأنَّ

اللَّهَ اشترط أنْ يكون قلبه مطمئن بالإيمان، أمَّا إذا وافقهم وقلبه معهم، ليس هو مطمئن بالإيمان صار كافرًا مثلهم.

أمَّا من يقول: لا يكفر الشخص إذا قال: الكفر أو فعله إلَّا إذا قصد بقلبه، هذا غلط، يكون الكفر بالقلب واللِّسان والعمل، إلَّا إذا أكره مع الطمأنينة، أكره بالقتل مثل فعل عمار، وابن مسعود، وبلال وغيرهم، قالوا: فوافقوهم، لكن مع الطمأنينة، فالقلب مطمئن بالإيمان موحد للَّه تعالى].

فالحاصل: لا بُدَّ من توحيد بالقلب واللِّسان والعمل، وإن وَحَّدَ بقلبه في زعمه، ولكن أشرك بالقول أو بالفعل لم ينفعه، أو وحَّد بالقلب واللِّسان، ولكن أشرك بالفعل كالسُّجود لغير اللَّهِ، والذَّبح لغير اللَّهِ، أو وحَّد اللَّه بالفعل وبالقلب، ولكن أشرك باللَّه في القول، فدعا مع اللَّه غيره، واستغاث بغير اللَّهِ، كله واحد، فلا بُدَّ أن يكون التَّوحيد بالقلب واللِّسان والعمل، وفق اللَّه الجميع.

■ **مسألة**: العلماء الَّذين يرون الشِّرك، ويسكتون عنه، هذا - السكوت - فيه تفصيل، إذا كانوا يعتقدون جواز ذلك كفروا، أمَّا إذا كان تساهلًا منهم لم ينكروا الشِّرك والمنكر، ولكنهم ما فعلوا المنكر ولا اعتقدوه، فهذا تقصير منهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمَّا إذا كانوا تركوا ذلك خوفًا، مثل الَّذين كانوا فِي مكة لم يستطيعوا أن ينكروا المنكر خوفًا من المشركين، فهم معذورين.

أمَّا الَّذين يعبدون القبور ويستغيثون بالجنّ، ولهم شركيات بيِّنة، يبدأ معهم بالدَّعوة إلى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إلى التَّوحيد؛ لأنَّ أعمالهم لا تنفعهم إلَّا بالتَّوحيد؛ فالرَّسول بدأ بالتَّوحيد، لم يبدأ بالصَّلاة ولا بالزَّكاة، ولا بدأ بالصَّدقات، بل بدأ بقوله، قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه.

والَّذي يقول: البدء بالتَّوحيد فيه تنفير للنّاس، هذا جاهل ابدأ بما بدأ به الرُّسل.

ولا يجوز للعالم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب على العلماء أن يَعِظُوا النَّاس ويُذكروهم، ويُبصروهم بحقِّ اللَّه، ولا يشاركوهم فِي كفرهم وشركهم، لا بالقلب ولا بالقول ولا بالفعل، فإذا قصروا فِي إنكار المنكر فهذا معصية، الواجب عليهم إنكار المنكر، لكن إذا كانوا لا يعتقدون ذلك المنكر، ولا يفعلونه معهم، ولا يجاملونهم، لا يصيرون بذلك كافرًا.

أمَّا إذا جاملوهم وعملوا معهم المنكر، عبدوا معهم القبور، وسبُّوا الأديان، وقالوا: هذه مجاملة، هذا شرك، أمَّا إذا كان الواحد لا يجاملهم، ولا يشاركهم فِي باطلهم؛ ولكنه ضعيف، لا يستطيع أن يجاهر هم بالإنكار عليهم، إمَّا خوفًا من شرهم، وإمَّا طمعًا فِي رفدهم هذا هو محل النظر.

■ **مسألة: حضور العلماء الاحتفالات ومباركتها:**

إذا كان العلماء يفعلون مع النَّاس الشِّرك، فهم مُشركون، إذا كانت الاحتفالات مشتملة على أفعال شركية، وشاركوهم فِيها فهم مشركون مثلهم، أمَّا إذا كانت احتفالات أكل وشرب لا يصيروا مشركين، وإذا كانت الاحتفالات فِيها سبٌّ لِلَّهِ وللرَّسول، وهم معهم، أو احتفالات يُقرُّون الكفر باللَّه، كدعاء الأموات، والاستغاثة بهم، ويرون أنَّ هذا لا بأس به شاركوهم في الكفر، والعياذ باللَّه.

أمَّا إذا حضروها معهم ليعرفوا أفعالهم، لينكروها عليهم، هذا واجب عليهم إذا حضروا لإنكار المنكر فهم مأجورون مثلما كان النَّبِيّ ﷺ يحضر الحج، ويتكلم معهم، وكان يدور عليهم في منى،

ويقول: يا قومي اتقوا اللَّه اعبدوا اللَّه وحده.

وأمَّا حضور مؤتمرات توحيد الأديان، لا يجوز -حضورها-، ولا تجوز الدَّعوة إليها.

العالم الَّذي يسكت عن إنكار الكفر، وهو قادر، هذا يكون معصية وصاحب ذلك ظالم لنفسه؛ لكن لا يصير كافرًا إلَّا إذا وافقهم عليه، بقوله أو بفعله أو باعتقاده، فِي أحد هذه الأمور الثلاثة، إذا سكت عن الواجب عليه، وهو إنكار المنكر، صار عاصيًا بسكوته؛ لأنَّه يقدر أن يفعل ولم يفعل، قد يقول: إني خائف.

والمقصود: أنَّه ينكر المنكر؛ لأنَّ اللَّهَ جلَّ وعلا، يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التّوبَة: ٧١] وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠] فمجرد سكوته ليس من الرضا بالكفر، ولا يلزم ذلك.

الرضى إذا كان يشاركهم في الكفر يكون مثلهم، إذا كان يحضر مع عُبَّاد القبور سؤال الموتى والاستغاثة بهم صار مثلهم، لكن إذا كان لا يستطيع الإنكار، وهو معتزل فلا.

■ **مسألة**: من قال: لا يكفر الرَّجل إلَّا إذا قصد الخروج من الإسلام، بقوله أو بفعله، هذا جاهل يُعلَّم أنَّ الكفر قد يكون بالقلب أو باللِّسان أو بالعمل عند جمهور الفقهاء. والَّذين قالوا: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا»[(١)] هؤلاء كفروا بالقول.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري فِي تفسير سورة التوبة (١٠/ ١٧٢).

■ **مسائل: متفرقة:**

المرجئة، يقولون: بأنَّ الإيمان بالقلب واللِّسان؛ ولا يدخلون العمل في الإيمان ويقولون: أنَّ الصَّلاة واجبة، والزَّكاة واجبة، ولا يسمى ذلك إيمان، وهذا غلط منهم.

■ **مسألة: التبرك:**

التمسح بشبابيك وأبواب الحرم معتقدًا أنَّها قُربى لله سبحانه وتعالى، هذا بدعة، وإذا كان يطلب البركة منها صار شركًا، أمَّا إذا كان يظن أنَّها قربى أو طاعة فهذا بدعة، يعلّم أنَّها بدعة.

■ **مسألة: الإكراه بالسجود لغير اللَّه:**

من أكره للسجود لغير اللَّه هل له أن يفعل، لا يفعل، وإن فعل يسجد، وهو في قلبه يعتقد أنَّه لا يجوز السُّجود لغير اللَّه؛ لأنَّه مثل التخلص من الإكراه إذا كان يضرب ويتوعد بالقتل من القادر، فِيسجد بنية السُّجود لِلَّهِ تعالى واللَّهُ ﷻ أعلم.

وصلَّى اللَّه على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية:	٥
ترجمة موجزة للشارح سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	٧
تعريف الشَّارح بالكتاب:	١١
حقيقة التوحيد:	١٣
الشرح:	١٤
■ مسألة:	١٨
المشركون الأوَّلون أقرُّوا بالرُّبوبيَّة وأشركوا في الإلوهيَّة في الرَّخاء دون الشِّدَّة:	١٩
الشرح:	٢١
وجوب خوف المؤمن من الوقوع في الشِّرك:	٢٤
الشرح:	٢٥
■ مسألة: العذر بالجهل:	٢٩
■ مسالة:	٢٩
الصراع بين الرُّسُل وأعدائهم:	٣١
الشرح:	٣٢
■ مسألة: في تكفير العامي:	٣٥
■ مسألة: في منع شغل العامة بالعقيدة:	٣٥
أجوبة أهل التَّوحيد على شبهات المشركين إجمالًا وتفصلًا أولًا: ذكر الجواب المجمل:	٣٦
الشرح:	٣٧
فائدة:	٤١
■ مسالة: من هم أولياء اللَّه:	٤١
■ مسألة: في تميَّز حب العبادة عن غيره:	٤١

الموضوع	رقم الصفحة
بيان ذكر الجواب المفصل على أبرز الشُّبه:	٤٢
الشرح:	٤٤
■ مسألة: في التفريق بين طلب قضاء الحاجات والشَّفاعة:	٤٧
بيان ذكر الجواب المفصَّل لأبرز ثلاث شُب يودونها على دعاة التوحيد:	٤٨
الشرح:	٤٩
■ مسألة: حصر العبادة في الصلاة:	٥٢
■ مسألة: حصر الكفر على التكذيب:	٥٢
■ مسألة: سجود معاذ للنبي ﷺ:	٥٣
■ مسألة: الإلحاد أعظم من الشرك:	٥٣
لا يجوز طلب الشَّفاعة إلَّا من مالكها ﷻ:	٥٤
الشرح:	٥٥
■ مسألة: الشَّفاعة:	٥٨
■ مسألة:	٥٨
■ مسألة: طلب الشفاعة ممن يذهب للجهاد:	٦٠
دعاء الصَّالحين والاستغاثة بهم شرك:	٦١
الشرح:	٦٢
■ مسألة:	٦٥
شرك المتأخِّرين أعظم من شرك الأوَّلين:	٦٦
الشرح:	٦٨
الإقرار بـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» وامتثال بعض الأوامر لا يدفع عن عُبَّاد القبور الشِّرك:	٧٢
الشرح:	٧٤
■ مسألة: ما يعذر فيه أهل البادية:	٧٧
مسائل: حول الرَّوافض:	٨١
تكفير السَّلف للعبيديين مع أنَّهم يشهدون الشَّهادتين:	٨٤
الشرح:	٨٤
■ مسألة: فيمن ذكر كلمة مازحًا:	٨٨
■ مسألة: في الاستهزاء:	٨٨

الموضوع — رقم الصفحة

■ مسألة: فيمن لم يأتِ بشروط لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ السبعة: ٨٩
■ مسألة: ٨٩
■ مسألة: في كفرمنكر الصِّفات: ٨٩
مَنْ أتى مُكَفِّرًا كَفَرَ: ٩٠
الشرح: ٩١
مسالة: بقاء الأعمال بعد التوبة: ٩٤
■ مسألة: منع تكفير المعيّن: ٩٥
■ مسألة: من كره شيئًا من الشرع ولم يجحده: ٩٥
■ مسألة: في اعتياد بعض الكلمات: ٩٥
■ مسألة: في الفرق بين الجهمية والمرجئة: ٩٥
الرَّدُّ على شُبْهَةِ أَنَّ مَنْ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه لا يَكفر ولو اقترف ناقضًا مِنْ نواقضها: ٩٧
الشرح: ٩٩
■ مسألة: فيمن يقول: في دعائه يا حبيبي: ١٠٢
■ مسألة: من سأل باللَّه لأمر ولم يجب: ١٠٢
■ مسألة: الكف عمَّن يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه من الكفرة: ١٠٣
■ مسألة: فيمن يقول للآمر والنَّاهي فضولي: ١٠٤
■ مسألة: إذا قال: بالكفر أو عمل به لا يكفر حتَّى تقام عليه الحُجَّة: ١٠٤
■ مسألة: عذر من جهل قدرة اللَّه: ١٠٤
■ مسألة: عدم الرضى يعتبر تكذيب يقتضي الكفر: ١٠٥
■ مسألة: ١٠٥
■ مسألة: زعم سقوط العبادات: ١٠٥
بطلان شُبْهَةِ القبوريين بأن الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركًا: ١٠٦
الشرح: ١٠٧
■ مسألة: ضابط طلب الدُّعاء من الغير: ١٠٩
■ مسألة: إزالة الشُّبة والمُتَشَابِهِ: ١٠٩
■ مسألة: التفريق بين الغائب الحيِّ والميِّت: ١١٠
■ مسألة: بعث الأجسام: ١١١

الموضوع رقم الصفحة

■ مسألة: الخفاء والوضوح: ١١١
■ مسألة: في فِرَق الجهمية: ١١١
■ مسألة: من لم تصلهم الدَّعوة حتَّى الآن؟ ١١٢
■ مسألة: الإنكار عند أهل القبور: ١١٢
بطلان احتجاج القبوريين بقول جبريل لإبراهيم حين أُلقي في النَّار: ألك حاجة؟: ١١٣
الشرح: ١١٦
■ مسألة: ١١٩
■ مسألة: حضور العلماء الاحتفالات ومباركتها: ١٢٠
■ مسألة: ١٢١
■ مسائل: متفرقة: ١٢٢
■ مسألة: التبرك: ١٢٢
■ مسألة: الإكراه بالسجود لغير اللَّه: ١٢٢
فهرس الموضوعات: ١٢٣